الاستعارة التمثيلية في المجازات النبوية للشريف الرضي ٤٠٦هـ

د/أحمد عبد الجواد عكاشه
أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد بالكلية

ينتظم هذا البحث في أمور ثلاثة :

الأول : في شخصية الشريف الرضي ونسبه ، ومنهجه في الكتاب .

الثاني : الاستعارة التمثيلية وآراء العلماء فيها .

الثالث : التطبيق التحليلي للاستعاره في الأحاديث النبوية الشريفة.

الأمر الأول : عن الشريف الرضي :

أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي صهر رسول الله ﷺ وابن عمه، المعروف بالموسوي أمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأصم(١) .

---

(١) انظر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبدالملك ابن محمد بن اسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ تحقيق محمد محيي الدين جـ ٣ ص ١٣١ ط دار الفكر ـ نهج البلاغة جمع السيد الشريف لكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . شرح الشيخ محمد عبده ص ٦ ـ ٧ ط الرحمانية بمصر ـ المجازات النبوية تحقيق د/ طه الزيني الحلبي ص ٥ ـ ٦ ديوان الشريف الرضي جـ ١ ص ٢ ـ ٣ منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت ـ المجازات النبوية تحقيق طه عبد الرءوف ص ١٣ ـ ١٤ الحلبي .

ولد رضى الله عنه سنة تسع وخمسين وثلاثمائة من هجرة المصطفى عليه السلام الموافقة لسنة تسعمائة وسبعين ميلادية فى بغداد .

وأبوه النقيب أبو أحمد كان جليل القدر .. عظيم المنزلة فى دولة بنى العباس ودولة بنى بويه ، ولقب بالطاهر ذى المناقب ، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطاهر الأوحد ، وولى نقابة الطالبين خمس دفعات ومات — رحمه الله — وهو متقلدها بعد أن حالفته الأمراض وذهب بصره . وانتقل الى رحمة مولاه عن سبع وتسعين سنة اذ كان مولده فى سنة أربع وثلاثمائة ، ووافته المنية سنة أربعمائة .

وقد نظم الشريف الرضى أبو الحسين مبلغ عمره فى قصيدة رثاه بها فى قوله(٢) :

سبع وتسعون أهنبلن لك العدا = حتى مضوا وغبرت غير مذمم

ودفن أولا فى داره ، ثم نقل منها الى مشهد الحسين عليه السلام .

كان والد الشريف الرضى مبارك الغرة ، ميمون النقيبة ، مهيبا نبيلا . ما شرع فى اصلاح أمر فاسد الا صلح على يديه . وكان عضد الدولة البويهى يخشاه ويستعظم أمره ، فلما قدم العراق سلطانا له قبض عليه سنة ٣٦٩هـ وحمله الى القلعة بفارس فلم يزل بها حتى مات عضد الدولة ، فأطلقه شرف الدولة بنى بويه واستصحبه فى جملة رجاله وقدم به الى بغداد .

كانت سن الشريف وقت حادثة أبيه عشر سنوات ، وأطلق سراح الوالد حينما كانت سن الشريف فوق السادسة عشرة ، وحفظ الشريف

---

(٢) ديوان الشريف الرضى ج ٢ ص ٧٣٩ ط بيروت .

لشرف الدولة هذا الجميل فمدحه ومدح وزيره سابور بن أردشير، ومدح الخليفة الطائع . ونظم الشريف الرضى وهو مجاوز للعاشرة بقليل يقول صاحب اليتيمه وهو(٣) أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت أنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجربه من ذكره شاهد عدل من شعره العالى القدح ، الممتنع عن القدح ، الذى يجمع الى السلاسة متانة ، والى السهولة رصانة .

وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان الرضى شاعرا مفلقا فصيح النظم ضخم الألفاظ قادرا على القريض ، متصرفا فى فنونه ، ان قصد الرقة فى النسيب أتى بالعجب العجاب . وان أراد الفخامة وجزالة الألفاظ فى المدح أتى بمالا يسق غباره وكان كاتبا بليغا متين العبارات.

يقول الثعالبى(٤) ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق (٤) يتجلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف بأدب ظاهر باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ... » .

كان الرضى — رحمه الله — أديبا عفيفا ، ملتزما بالدين وفرائضه. لا يقبل منه من أحد حتى الملوك والوزراء ، يقول صاحب عمدة الطالب: « ان معلمه وجه دارا يسكنها فاعتذر اليه وقال : انى لا أقبل بر أبى فكيف أقبل برك .. فقال له : ان حقى عليك أعظم من حق أبيك وتوسل

---

(٣) المجازات النبوية للشريف الرضى جـ ١٤ تحقيق طه عبد الرءوف ص ١٥ — ١٦ .

(٤) يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٣ ص ١٣١ .

اليه فقبلها » وقد كان يعتز بنفسه لا تهمه المادة قدر اهتمامه بمكانته والاحتفاظ بها(٥) ، قال :

اشتر العز بما شئـ ت فما العز بغـال

كان الشريف شيعيا ولكنه معتدل غير متعصب ، ورث الاعتدال من أبيه ، فقد تلافى الفتنة بين السنه والشيعة سنة ٣٨٠هـ . سجل الشريف هذا الصلح فى شعره(٦) كان حر العقل الى حد بعيد فقد كان يدرس جميع المذاهب الاسلامية ليمد عقله بالأنوار التي يرسلها اختلاف الفقهاء ..

كانت الحكمة تسبق الى خاطره من فيض السجية والطبع ، فيرسلها عفوا بلا تصنع ولا اعتساف أليس هو القائل ؟(٧) :

اذا قال مالى غنى صحبى وان نما غنى من جميع الناس أهل ومرحب

وهو القائل(٨) :

اذا ما الحر أجدب فى زمان = فعفته لـه زاد ومـاء

---

(٥) رواية الديوان :

* اشتر العز بما بيع العز بغال *

ديوان الشريف جـ ٢ ص ٧٠٢ .

(٦) قال من قصيدة أولها :

ألا حيهـا رب العـلى من غوارب تعـرقنى بين العـلى والمطـالب
وخطب على الزوراء ألقى جرانه مديد النواحى مـد لهم الجوانب
وأقشـعت عن بغـداد يوما دوبه الى الآن باق فى الصبا والجنائب
ولولاك على بالجمـاجم سـورها وخنـدق فيهـا بالدماء الذوائب

انظر ديوان الشريف الرضى . منشـورات مؤسسة الأعلمى بيروت. جـ١ ص٦٩-٧١ - المجازات النبوية جـ١٦ تحقيق طه عبدالرءوف .

(٧) عبقرية الشريف الرضى جـ ١ ص ٢٤ .

(٨) ديوان الشريف الرضى جـ ١ ص ٢٧ .

كان الرضى – رحمه الله – نبعا فياضا ، شارك فى التأليف العلمى بمشاركة الفحول ألف كتبا كثيرة منها :

١ – ديوان شعر طبع فى بيروت فى مجلدين .

٢ – نهج البلاغة جمع كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ط الرحمانية بمصر .

٣ – حقائق التأويل فى متشابه التنزيل .

٤ – تلخيص البيان فى مجازات القرآن .

٥ – المجازات النبوية .

وانتقل الى رحمة مولاه سنة ٤٠٦هـ – ١٠١٦م بكرة يوم الأحد السادس من المحرم وقيل صفر . وحضر جنازته الوزير والقضاة والناس عامة وصلى عليه الوزير . ودفن بداره بمسجد الأنبارى . وقيل أنه نقل الى مشهد الحسين بكربلاء فدفن عند أبيه . ورثاه كثير من الشعراء . رحمه الله وجزاه عن العربيه والاسلام خير الجزاء .

المجازات النبوية ..

هذا الكتاب جمع فيه صاحبه جملة من أحاديث الرسول ﷺ .. ضمت كثيرا من الألفاظ اللغويه الجزلة .. والأساليب البلاغية الراقية ، حوت من التشبيهات والاستعارات ودقائق الكنايات .

كان عمل الشريف فى احاديث الرسول ﷺ بداية لأعمال تلت عمله ، وأفادت منه ، لما فيه من شرح بيانى بليغ ، ولما رأوا فيه من الأدب العلوى الرفيع ، والذوق البلاغى الممزوج بالحس المرهف . فقد كان بحق رائدا من رواد البلاغة والفصاحة الذين مهدوا الطريق بتلك الدراسة البلاغية للقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لذلك يخبر الدكتور زكى مبارك فى قوله ان الرضى مهد السبيل للامام عبد القاهر الجرجانى ، فهو تلميذه فى الميادين البيانية ، وليس كتاب دلائل الاعجاز

الا خطوة ثانية بعد كتاب « المجازات النبوية » وان كان الجرجاني أقدر من الرضى على الاستفاضة والاستقصاء ٠"

ولكنني أقول ان المنهجين مختلفان فعبد القاهر صاحب قضايا يريد أن يقعدها ويحللها في غوالب ، والشريف الرضى صاحب تحليلات بيانية ٠٠٠ والتلمذة لم تكن كاملة في كل شيء ٠٠

منهج الشريف في كتابه يعمد الى الاشارة الى مواضع النكت ، ومواقع الغرض بالاختبارات الوجيزة والايماءات الخفية ٠٠٠ وعلل ذلك بأن القلوب في هذا الزمان ضعيفة عن تحمل أعباء العلوم الثقيلة ، والاجراء في مسافات الفضائل الطويلة ٠٠

وقد حمله الايجاز ذكر الحديث كاملا اذا كان قصيرا تستوعبه الصورة البيانية والا اقتطف من الحديث ما يمثل اللون البلاغية ٠٠ وكنت أود أن تكون النظرة شاملة ٠

ولقد دون الشريف الرضى غرضه ودفعه الى تأليف الكتاب فقال: فانك عرفت ما شاقتني به من استحسانك الخبيئة التي أطلعتها ، والدفينة التي أثرتها من كتابي الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القرآن وأني سلكت من ذلك محجة لم تسلك ، وطرقت بابا لم يطرق ، ومارغبت الى مافيه من سلوك مثل هذه الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ ، اذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ، ولمح البيان القريبة وأسرار اللغة اللطيفة ، يعظم النفع باستنباط معادنها ، واستخراج كوامنها ٠٠ واطلاعها من أكمتها وأكنانها ٠٠٠ فيكون هذان الكتابان باذن الله لمعتين يستضاء بهما ،

(٩) عبقرية الشريف الرضى د / زكي مبارك جـ١ ص٢٠٧ المكتبة العصرية ٠

(١٠) المجازات النبوية للشريف الرضى جـ ١ ط الحلبي تحقيق د/ طه الزيني ٠

وعرينتين لم أسبق الى قرع بابهما • أذن فالرجل لم يقصد الى غرض خارج عن بيان ما فى القرآن الكريم والآثار النبـــوية من الاطلاع على مخبوءاتهما ، واثارة دقائقهما ، ولم يدقق الا أن يكون الكتابان لمعنين يستضاء بهما فى عسورة لم يسبق اليها •

ولقد نبه المؤلف الى مصادره وهى كتب غريب الحديث المعروفة ، وأخبار المغازى المشهوره ، ومسانيد المحدثين الصحيحة ، وما أتقنه هو رواية ، وجعله اجازه وخرج بعضه صفحا وقراءة •

والرضى لم يتبع منهجا فى ذكر الأحاديث مرتبة على نمـــط من الأغراض ، أو الأنواع البلاغية ، أو أبجدية خاصة بل ذكـــر الأحاديث كيفما اتفق ••

المراد بالمجاز فى هذا الكتاب :

يطلق المجاز هنا على المجاز العقلى ، وعلى التشبيه البليغ ، وعلى المجاز المرسل وعلى الاستعاره وعلى الكناية ، اذ يعقب بعد كل حديث بقوله : وهذا القول مجاز ، أو : وهذا القول استعارة ، أو هذا الكلام كناية ، من غـــير أن يفـــرق بين أنواع الاستعارة والتشبيه ، فيجعل التشبيه البليغ استعارة ، وهذا الرأى السائد عنـــد بعض الاقدمين كالفاعتى والحاتمى ، وابن قتيبه • قال الرضى فى قول الرســـول ﷺ للأنصـــار « أنتم الشعار والناس الدثار »(١٢) وهذا مجاز لأنه عليه السلام أراد أنكم أقرب الناس منى ، وأشدهم اشتمالا على ، فأنتم لى كالشعار وهو الثـــوب الذى يلى بدن الانسان ، والناس الدثار : وهو الثوب الذى يقع فوق الثوب الأول الملاصق للبدن •• لأن الناس أبعد منى وأنتم بينهم وبينى ••

والحديث من التشبيه الذى حذف فيه الوجه والأداة والطرفان

---

(١١) المجازات النبوية للشريف الرضى ص٤١ تحقيق د / طه الزينى

موجودان فهو تشبيه بليغ حيث شبه الأبصار بالشعاع في القرب والنفاذ بالبصائر في البعد .. والمشبه والمشبه به موجودان . وفي قوله الرسول ﷺ « المؤمن مرآة أخيه » وفي رواية أخرى « مرآة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وفيده » قال وهذا القول مجاز واستعارة .. والمراد أن المؤمن الناصح لأخيه المؤمن يبصره مواقع رشده ، ويطلعه على خفايا غيبة فيكون كالمرآة له ينظر فيها محاسنه ، فيستحسنها ويزداد فيها ، ويرى مساويه فيستقبحها وينصرف عنها ..

والأمر الواقع حسب توضيحه بأن هذا تشبيه بليغ حيث شبه المؤمن بالنسبة لأخيه كالمرآة من حيث انطباع الصورة فيهما فكما أن المرآة تطبع فيها الصورة عندئذ المؤمن يرى في أخيه أثر أفعاله ان كانت حسنة أو قبيحة فهو تشبيه بليغ حذف منه الوجه والأداة وفي حديث : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة ..(١٣) تكرر هذا الحديث بنص آخر : الصوم جنة ما لم يخرقها ...(١٤) .

قال عقب الحديث الأول : .. وهاتان استعارتان احداهما قوله عليه السلام الصوم جنة .. والمراد أن الصائم الذي يخلص في صومه ، ويستكمل آخر يومه يكون بالاخلاص في ذلك الصوم كأنه قد لبس جنة من العقاب وأخذ أمانا من النار وقال في النص نفسه مرة

---

(١٣) المجازات النبوية للشريف الرضي تحقيق د/ طه الزيني ط الحلبي ص ١٨٩ ـ المرجع نفسه تحقيق طه عبد الرءوف سعد ص ١٣٣ ط مصطفى الحلبي .

(١٤) المجازات النبوية للشريف الرضي تحقيق د/ طه الزيني ط الحلبي ص ٢١٤ ـ المرجع نفسه تحقيق طه عبد الرءوف سعد ص ٢٠٩ والحديث مسند الامام أحمد جـ ١ ص ١٩٥ .

ثانية .. الصوم جنه .. ما لم يخرقها . قال : وهذه استعارة وذلك أنه عليه الصلاة والسلام شبه الصوم الذى يجن صاحبه من لواذع العذاب ، وقوارع العقاب اذا لخص له النية وأصلح فيه السريرة فجعل عليه السلام من اعتصم فى صومه من الزلل وتوقى جرائر القول والعمل كمن صان تلك الجنة وحفظها وجعل من أتبع نفسه هواها وأوردها رداها ، كمن خرق تلك الجنة وهتكها ، فصارت بحيث لا تجن من جارحة، ولا تعصم من جانحة .

وجملة الصوم جنة فى الحديث تشبيه بليغ فقد شبه الصوم بالجنة التى تقى الانسان مما يعييه من السيوف ونحوها . والأصل الصوم كالجنة فى الوقاية فحذف الوجه والأداة ...

والاستعارة فى الخرق .. يخرقها .. حيث شبه افساد الصائم صومه بضروب المحرمات بخرق الشىء السليم وهى استعارة تصريحية تبعية استعير فيها الخرق وهو محسوس للافساد وهو معقول . والتشبيه مرشح لأن الخرق يناسب المشبه به وهو جنة ..

وقال الرمى فى قول الرسول عليه السلام : والصدقة تطفىء الخطيئة .. جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث كانت مفضية الى عذاب النار وجعل الصدقة مطفئة لها اذا كثرت فأثرت فى سقوط عقابها . وهذه الاستعارة المكنية التى قرينتها تصريحية حيث شبه الخطيئة بالنار استعير للاحباط حيث شبه احباط عقاب الخطيئة واذهاب أثره باطفاء فى ضررها ، وحذفها ورمز اليها بشىء من لوازمها وهو الاطفاء والاطفاء النار واشتق من الاطفاء بمعنى اذهاب الأثر تطفىء على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

ويفرق بين التشبيه المحذوف ، الأداة وبين المذكور الأداة فيجعل

الأول استعارة والثانى تشبيها يقول فى قول الرسول عليه السلام : « كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملئوه »(١٥) .

انه استعارة . المراد أن كل من كان من ولد آدم عليه السلام فهو ناقص لا يوصف بالتمام ، ولا يعطى مزيد من الكمال . وانما يوصف الانسان بأنه فاضل اذا أضيف الى الناقص . قال ولو قال عليه السلام « أنتم بنو آدم كطف الصاع » خرج الكلام عن أن يكون مستعارا لأن دخول كاف التشبيه فى الكلام يخرجه عن باب المجاز مثل قوله عليه الصلاة والسلام خرجت حين بزغ القمر كأنه فلق جفته والواقع عند البلاغيين المتأخرين غير ذلك لأن الفرق لا يكون فى ذكر الأداة أو حذفها

ويكون المجاز شاملا المجاز العقلى واللغوى . فمن المجاز العقلى قول الرسول عليه السلام « اللهم انى أحمدك على البرق الساكن ، والليل النائم »(١٦) .

قال ووصف الليل بالنوم مجاز لأن النوم انما يكون فيه لا منه . ولكنه لما كان مطية للنوم ، وظرفا له حسن أن يوصف به ويضاف اليه وعلى هذا قول جرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

وتوجيه الرضى مقبول ولكنه مسبوق بغيره فكنت أود أن يتقدم خطوة ولكنه لم يقف عند نوع المجاز وهو مجاز عقلى أسند النوم الى

---

(١٥) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٢٨١ – ٢٨٢ – تحقيق د/ طه الزينى المجازات ص ١٨٩ تحقيق طه عبد الرءوف .

(١٦) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٧٧ – تحقيق د/ طه الزينى المجازات ص٦٦ تحقيق طه عبد الرءوف .

غير ما هو له والليل زمان النوم والذى ينام انما هو من يتأتى منه النوم كالانسان والعلاقة هنا الزمانية .

وفى بيت جرير : لقد لمتنا .. وما .. اسناد النوم منفيا لليل ويرد عليه كيف يقال اسناد النوم الليل مع أنه نفاه عنه ؟

وأقرب الاجابات على هذا أن يقال اننا ننظر الى مفهوم النسبة الإسنادية لا الى منطوقها . ومفهومها لا مجالة . ليل المطى سائر ، وليسناد السهر الى الليل كاسناد النوم اليه . كلاهما مجاز .

وسكت المؤلف عن توجيه الشق الأول من الحديث وهو « أحمدك على الهرق المبادن » وهذا التعبير كناية عن العدوء وخلو الخاطر عن الهموم المزعجات فقد أطلق الملزوم وأريد اللازم .

ومن التعبير عن المجاز المرسل قوله فى قول الرسول عليه السلام عن جبل أحد .

« هذا جبل يحبنا ونحبه » وهذا القول محمول على المجاز ، لأن الجبل على الحقيقه لا يصح أن يحب ولا يحب ، اذ محبة الانسان لغيره انما هو كناية عن ارادة النفع له : أو التعظيم المختص به . فالمراد أن أحدا جبل يحبنا أهله ، ونحب أهله وأهله هم أهل المدينة من الأنصار .

والواقع أنه يخرجه على المجاز المرسل الذى علاقته المحلية من اطلاق المحل وارادة الحال ولكن جعله حب الرسول ﷺ واقعا على الجبل مجازا سهو منه ، بل وقوع الحب وصفا للانسان حقيقة لأن الحب

---

(١٧) الكتاب جـ ١ ص ١٦٠ تحقيق عبد السلام هارون الهيئة العامة للكتاب .

(١٨) المجازات النبوية جـ ١٥ تحقيق د/ طه الزينى .

(١٩) الآية رقم ٢٠ من سورة الفجر .

ميل غريزى ملازم للانسان يتناول كل ما فى الحياة قال عز وجل : « وتحبون المال حبا جما » وقال « زين للناس حب الشهوات »(٢٠) أما وقوع الحب من الجبل فهو استعارة بالكناية حيث شبه الجبل بانسان وحذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه • وهو الحب • لا كما ذهب البعض من حمله على المجاز العقلى ولا ما ذهب اليه الآخر من رأى غريب اذ اد قال عن رأى الرضى هنا ، وهذا خطأ من الشريف ساقه اليه خضوعه للحرفيات فى بعض الأحوال (٢١) فالرسول — عليه السلام — فى رأيى أراد الحقيقة لا المجاز ، وسر ذلك لا يدركه غير من يطمئن الى فكرة « وحدة الوجود » ، فالرسول عليه السلام — عربى يخاطب عربا يعيشون واقعهم ويميزون بين الحى والجماد ، ولا يتعمقون فلسفات وننية رائعة ، ومن يخاطب نبى الله الناس الا بما يعرفون أما موقفه فى المجاز بالحذف • فمثال عند قول الرسول عليه السلام : جبرائيل ناموس الله • قال بعضهم : ان الناموس من أسماء العلم ويكون فى الخبر اذا حملناه على هذا تقدير مضاف حذف لدلالة الكلام عليه فكأنه عليه السلام قال جبرائيل حامل علم الله ، أو صاحب علم الله(٢٢) والحذف : انما يحسن فى الكلام اذا كان فيما يبقى دليل على ما يلقى كقوله تعالى « واسأل القرية التى كنا فيها »(٢٣) والعير التى أقبلنا فيها فلما كانت القرية والعير لا تسألان ولا تجيبان علم أن المطلوب غيرهما • وأنه أضيفت اليهما ولا يجوز على هذا جاء زيد وأنت تريد غلام زيد •• فلا دليل على المحذوف فى مثل الأولى أن يكون من المجاز المرسل الذى علاقته المحلية وهو الأوجه •

---

(٢٠) الآية رقم ١٤ من سورة آل عمران •

(٢١) عبقرية الشريف الرضى جـ ١ ص ٢١٦ د/ زكى مبارك •

(٢٢) المجازات النبوية ص ١٥٨ تحقيق طه عبد الرءوف ط الحلبى •

(٢٣) الآية رقم ٨٢ من سورة يوسف •

ومن ألوان المجاز الذى يدل على الكناية عند الرضى بيانه فى قول الرسول عليه السلام « ألا ان كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع » وهذا القول مجاز والمراد به ابطال أمر الجاهلية ، وحط أعلامها ، ونقض أحكامها كما يسندل الشيء الموطوء الذى تدوسه الأخامص الساعية والأقدام الواطئة(٢٤) .

وهذا التمثيل بيان الكناية عن صفة لأن الشيء الموضوع تحت القدم ذليل فهو تحقير شأن الجاهلية وعاداتها وأحكامها ما عدا ما أقره الاسلام منها .

والرضى وان كانت تنقصه الدقة فى تحديد المصطلحات لكنه كان عالما كثير الاستشهاد بنثر العرب وأدبهم ولغتهم ، كان يسوق ذلك تقوية لمعنى ارتآه ، وهو لا يقبل المسائل قضايا مسلمة وأمور منتهية ، ولكنه يناقشها ، ويعلق عليها . يبرز فيها صريح الرأى اذا كانت قريبة من العقل أو بعيدة عن القبول أو دانية من اعتساف القول ، فعند تناوله للحديث(٢٥) المولد للفراش وللعاهر الحجر فذكر أن العاهر لا شيء له فعبر بذلك لعدم الانتفاع بالحجر ، أو أنه ليس له الا اقامة الحد عليه وهو الرجم بالأحجار ، أو العنق اذا كان غير محصن .

وأيد الرضى الرأى الأول ، وهو كناية عن عدم الانتفاع وذلك برواية ابن عمر العاهر الأتلب . والأتلب التراب المختلط بالحجارة وبما ورد عن العرب . ثم ذكر أن الثانى فيه تعسف واستكراه لأن

---

(٢٤) المجازات النبوية ص ١٣٥ تحقيق د/ طه الزينى المجازات ص ١٠٢ تحقيق طه عبد الرءوف .

(٢٥) المجازات النبوية ص ١٣٩ تحقيق د/ طه الزينى المجازات ص ١٠٥ تحقيق طه عبد الرءوف .

الغلطه عن من لا يرجم لا يعبر عنه بالحجر لبعده عن سنن الفصاحة .

وقد يتجه أحيانا الى الموازنات فقد يوازن بين حديث شريف وبين بيت من الشعر فى دقة وتذوق وبراعة تبصر المطلع على منابع الجمال فى الحديث النبوى ففى قول الرسول عليه الصلاة وأتم السلام لسلمان الفارسى رضى الله عنه : « سلمان ابن الاسلام ، سلمان جلدة بين عينى »

قال وجلدة بين العينين ها هنا كناية عن الأنف . فكأنه عليه الصلاة والسلام جعله فى العزة والقرب منه كالأنف الكريم على صاحبه والعزيز على مفارقه وهذا القول أصح من معنى قول الشاعر :

* وجلدة بين العين والأنف سالم *

لأنه لا جلدة بين العين والأنف مذكورة يقصد قصدها ويشار نحوها .

والحديث يحمل تشبيهين الأول تشبيه سلمان رضى الله عنه بابن الاسلام فى قوته به وشد أزره .

والثانى : تشبيه سلمان رضى الله عنه بأنف النبى ﷺ فى علو الشأن وكرم المنزلة وحذف وجه الشبه والأداة .

وقد يلحظ الرضى تأثير العرف وينظمه فى بيانه وهذه محمدة له يقول عقب الحديث : أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم ، فان أحدهم ليعثر وان يده بيد الله يرفعها(٢٧) يقول : لما جاء بلفظ العثار أخرج الكلام

---

(٢٦) المجازات النبوية ص ٢٣٦ تحقيق د/ طه الزينى المجازات ص ٢٢٣ تحقيق طه عبد الرءوف .

(٢٧) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٢٢٨ تحقيق د/ طه الزينى المرجع نفسه تحقيق طه عبد الرءوف ص ١٥٧ ط الحلبى .

بعده على عرفه العادات ، لأن العادة جارية أن يكون المنهض للعاثر ، والمقيم للواقع ، انما يستنهضه بيده ، ويستعين عليه تجلده .

والرضى موسوعة علمية فهو يتعرض أحيانا لمسائل فقهية خلافية أو كلامية أو لغوية كما فى الحديث عن الشارب فى آنية الذهب والفضة.

« انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » برفع النار(٢٨) .

فقد ذكر آراء الخوارزمى ، والشافعى وداود الأصفهانى ، وقد علل الدكتور(٢٩) زكى مبارك بأنه تعمد الكتابة فى الشئون اللغوية والعلمية ليصد عن مجده الأدبى والسياسى عدوان خصمه ومنافسيه . والأولى أن يقال ان هذا منهج المؤلفين فى زمانه . فلم يكن التخصص الدقيق سائدا لا محيص عنه(٣٠) وان كنت آخذ عليه بأن هذا النهج قد خرج عن خطته فى تأليف الكتاب بأن طابع الايجاز طريقته .. وعملت ومواقع الفرض بالاعتبارات الوجيزة هذه اشارات من عمل هذا الأديب البلاغى البليغ الذى كان فاتحة خير للدراسة فى البلاغة النبوية دراسة منهجية أدبية جديرة بكل نقد .

---

(٢٨) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ١٤٤ تحقيق د/ طه الزينى المرجع نفسه تحقيق طه عبد الرءوف ص ١٠٧ ط الحلبى .

(٢٩) عبقرية الشريف الرضى جـ ١ ص ٢١٠ د/ زكى مبارك ط العصرية للطباعة والنشر بيروت .

(٣٠) البلاغة النبوية – مخطوط رسالة دكتوراة د/ صباح عبيد دراز ص ٦٥ .

الأمر الثانى : فى الاستعارة التمثيلية « المجاز المركب » :

تناول الخطيب هذا المجاز بأنه « اللفظ المركب المستعمل فيما شبه معناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغه فى التشبيه »(٣١) .

ومفهوم هذا التعريف كما قال صاحب المطول : « أن تشبه احدى الصورتين المنتزعتين(٣٢) من متعدد بأخرى ، ثم يدعى أن الصورة المشبهة من جنس الصوره بها ، فيطلق على الصورة المشبهة للفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبهة بها وغرضه هو نفس غرض المجاز المفرد المقرر بالاستعارة وهى المبالغة فى التشبيه وفى ضوء هذا التعريف لا ينتظم المجاز المرسل فى المجاز المركب لفقد المشابهة فى المرسل وان كان وجد عند بعض المتأخرين ولان المزية البلاغية فيه لا تنهض الى الصوره فى الاستعارة التمثيلية .

ويصور البلاغيون تمثيلهم بما كتب به الوليد بن يزيد لما بويع الى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة له « أما بعد : فانى أراك تقدم رجلا . وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا » فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام .

فهو قد شبه صورة تردده فى المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخرها أخرى . ولا يقصد من الكلام ويؤخر رجلا أخرى لئلا يفيد الكلام أن الرجل المؤخرة غير المقدمة فليس هذا صورة التردد فى الذهاب وعدمه ، لأن المرء اذا أراد المشى رمى رجله أماما واذا أحجم عنه رد تلك الرجل الى

---

(٣١) الايضاح للخطيب القزوينى ص ٣٠٤ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين ط السنة المحمدية .

(٣٢) المطول للسعد ص ٣٧٩ ط تركيا .

موضعها ، ويسمى ردها لموضعها تأخيرا باعتبار ما انتهت اليه والجامع الهيئة الحاصله من اقدام تاره واحجام أخرى ، وهى صورة عقلية مركبه منتزعة من الصورة العقلية المشبهة وهى كون الانسان مترددا فى أمر فيقدم بالعزم عليه تارة • ويحجم عنه بالاستخارة مرة أخرى • ومن الصورة الحسية المشبهة بها هى كون الانسان القائم للذهاب يقدم رجلا تارة لارادة الذهاب ويؤخر أخرى لعدم ارادته •

ومنها قولهم للرجل يستخدم الحيلة فى صرف صاحبه عن التشبث بأمر من الامور حتى يعدل عنه •• مازال يفل له فى الذروة والغارب حتى لان ، ومازال ينزع القراد من البعير حتى سكن • فهو يمثل حاله مع صاحبه بحال من يحتال على البعير الهائج بحـــك شعره سنامـه الذروة وما يلى سنامه الى العنق الغارب حتى يهدأ • أو بحال صاحب هذا البعير ينزع القراد منه حتى يسكن •

كانت بداية هـــذا الخيط عند الامام عبد القـــاهر الذى أكثر من الحديث عنه(٣٣) ضمن أمور متعددة وكأنه أحس بقصور السابقين فى شأن هذا الامر متأملا قول الجاحظ فى تعليقه على الشاهد الأول الذى أسنده الى يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد قال عقب المثل(٣٤) • وها هنا مذاهب تدل على أصالة الرأى ، ومذاهب تدل على تمام النفس وعلى الصلاح والكمال • لا ترى كثيرا من الناس يقفون عليها قال الامام « وأما التمثيل الذى يكون مجـــازا لمجيئـــك به على حد الاســـتعارة فمثال(٣٥) قولك للرجل : يتردد فى الشىء بين فعله وتركه • أراك تقدم

(٣٣) أسرار البلاغة للامام عبد القاهر ص ١١٢ ، دلائل الاعجاز ص ٦٩ تحقيق الأستاذ محمود شاكر ط المدنى نشر الخانجى •

(٣٤) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٠٠ تحقيق حسن السندوبى

(٣٥) أسرار البلاغة ص ٢٥٨ تحقيق الأستاذ محمود شاكر •

رجلا وتؤخر أخرى فالأصل فى هذا أراك فى ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى •

ثم يختم مورد هذا التمثيل بقوله وهكذا كل كلام رأيتهم قد نحوا فيه التمثيل ثم لم يفصحوا بذلك وأخرجوا اللفظ مخرجه اذا لم يريدوا تمثيلا ••

ويتكرر هذا الحديث عن الاستعارة التمثيلية علنا ندرك سر هذا التكرار وروعة هذا البيان يقول فى أسرار البلاغة • فى مقام الفرق بين الاستعارة فى المفرد والاستعارة المركبة « أعلم أنك تجد الاسم وقد وقع من نظم الكلام الموقع الذى يقتضى كونه مستعارا، ثم لا يكون مستعارا وذلك لأن التشبيه المقصود منوط به مع غيره ، وليس له شبه ينفرد به وذلك لأن الشبه يجىء منتزعا من مجموع جملة من الكلام •

فمن ذلك قول داود بن على حين خطب فقال « شكرا شكرا ، انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ، ولا نبنى فيكم قصرا ، أظن عدو الله أن لن يظفر به ، أرخى له فى زمامه ، حتى عثر فى فضل خطامه ، فالآن عاد الأمر فى نصابه ، وطلعت الشمس من مطلعها ، والآن قد أخذ القوس باريها ، وعاد النبل الى النزعة ، وجمع الأمر الى مستقره فى أهل بيت نبيكم ، وأهل بيت الرأفة والرحمة •

ويحلل الامام الاستعارة التمثيلية فى شاهده فقوله « الآن أخذ القوس باريها » وان كان القوس تقع كناية عن الخلافة ، والبارى عن المستحق لها ، فانه لا يجوز أن يقال ان القوس مستعار للخلافة على حد استعارة الدر والشمس ، لأجل أنه لا يتصور أن يخرج للخلافة شبه من القوس على الانفراد • وأن يقال هى قوس •• كما يقال هى نور وشمس» وانما الشبه مؤلف لحال الخلافة مع القائم بها ، من حال القوس مع الذى براها وهو أن البارى للقوس أعرف بخيرها وشرها ، وأهدى

الى توتيرها وتصريفها اذ كان العامل لها فكذلك الكائن على الأوصاف المعتبرة فى الامامة والجامع لها ، يكون أهدى الى توفيه الخلافة حقها ، وأعرف بما يحفظ مصارفها عن الخلل ، وان يراعى فى سياسة الخلق بالامر والنهى التى هى المقصود منها ترتيبا ووزنا تقع به الأفعال مواقعها من الصواب كما أن الممارس بالقوس يراعى فى تسوية جوانبها ، واقامة وترها ، كيفية نزعها وضع السهم الموضع الخاص منها ما يوجب فى سهامه أن تصيب الأغراض ، وتقرطس فى الاهداف ، وتقع فى المقاتل وتصيب شاكلة الرمى •

وقد طال نفس الامام عبد القاهر فى تحليل هذه الاستعارة فى قوله والآن أخذ القوس باريها وكان التحليل شافيا جامعا فلم يكن تحليله من جهة تحديد القاعدة بين الاستعارات فى المفرد والاستعارة المركبة ، وانما كان من حيث بيان دقائق الملابسات والمشابهات بين الصورتين وأحس باكتناه هذا التحليل من بين هذا البيان الكثير فقوله : أرخى له فى زمامه • شبه حال العدو حين م يأخذ على يده فى بدء ميله وجنوحه، وأغراه ذلك بالامراط فى النجاجه والتمرد حتى سقط بسبب هذا الافراط شبه هذه الحاله بحالة البعير الذى أرخى له فى زمامه فظل يضطرب ويجمح ويزداد فى ذلك كلما أغرى بمزيد من الارخاء حتى عثر وسقط فى غمس حطامه • ويبغى الامام أن تكون الاستعارة فى المفرد بأن تكون استعارة مكنية فى العنان أو الزمام والمشبه به البعير حيث قال لا وجه لان تروم شيئا تجرى العنان عليه ويتناوله •• ولكن المعنى على انتزاع الشبه من الفرس فى حال ما يرخى عنانه • وأن ينظر الى الصورة التى توجد من حالة ذلك فى العقل ثم يجاء بها فيعارها الرجل ويتصور بمقتضاها فى النفس ويتمثل • فالاستعارة هنا من قبيل الهيئات وان

---

(٣٦) أسرار البلاغة ص ٢٥٩ تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ط المدنى جدة •

كانت الكلمات فيه جارية على طريقة الحقيقة فالمجاز في جملة الكلام وهيئته فهو يتناول الحادثة بكل أطرافها وأحداثها ومقدماتها ونتائجها فأنت تعتبر قصة كاملة فتدمجها في مثلها • وتذكر قصة أو حالة لتدل بها على قصة أو حالة فأنت كما يقول أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى(٣٧) لا تحرك الكلمات من مواقعها كما كنت تفعل هناك ولكنك تحرك شيئا أوسع ، تحرك أحداثا مترابطة ، وأحوالا متماسكة لتدمجها في مثلها •

وفي قوله : وعاد النبل الى النزعة(٣٨) والنزعة بالتحريك جمع نازع وهو الرامي بالنبل وكأن النبال كانت في أيدي الحمقى أو المغرورين وكأن الرماة وأهل السداد قد عطلت أيديهم من نبالهم وهذا شطر من الاختلال التي أشارت اليه الاستعارة الأولى وناهيك عن النبل اذا كان في يد مغرور نزق ثم يصمى من معاني الخير ، وكم يهدر من قيم ، ثم ناهيك عن يد النزعة حين تنزع منها أسهام وتبقى عاطله كم يضيع بذلك من نفع •

وفي قول الامام عبد القاهر(٣٩) وتصيب شاكلة الرمي استعارة تمثيلية •

والشاكلة من الفرس الجلد بين عرض الخاصرة والثغنة وهي موصل الفخذين في الساقين من باطنهما • فتقول أصاب فلان شاكلة الأمر • فهم يشبهون حال من يسدد كلامه ورأيه الى صميم المسألة •

---

(٣٧) التصوير البياني دراسة تحليلية د/ محمد أبو موسى دار التضامن للطباعة ـ الناشر مكتبة وهبة ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ •

(٣٨) أسرار البلاغة ص ٢٩٤ مطبعة الاستقامة تحقيق الشيخ أحمد مصطفى المراغي •

(٣٩) التصوير البياني ص ١٣٦ د/ محمد أبو موسى •

يبلغ فى ادراك الصواب فيها • محل الصائد الذى يسدد سهمه ، ويحكم رأيه ؛ فيصيب شاكلة الديوان الرامى أى خاصرته ، ثم استعيرت الحالة الثانية للحالة الأولى ، واكتفى فيها بكلمة شاكلة وكلمة أصاب وهما كلمتان مليئتان بالمعانى والاشارات التى تكشف بقية الصورة والحالة •

وفى ختام حديثه هنا يقرر الامام الفرق بين الاستعارة فى المفرد • والاستعارة المركبة فقال : فمن حقك أن تحافظ على هذا الأصل وهو أن الشبه اذا كان موجودا فى الشىء على الانفراد ، من غير أن تكون نتيجة بينه وبين شىء آخر ، فالاسم مستعار لما أخذ الشبه منه كالنور للعلم ، والظلمة للجهل ، واذا لم تكن نسبة الشىء للشىء على الانفراد وكان مركبا من حالة مع غيره فليس الاسم بمستعار ولكن مجموع الكلام مثل •

والمثل مأخوذ من المثال ويحدده الميدانى ناقلا عن غيره قال المبرد : هو قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول والأصل فيه التشبيه فقولهم (مثل بين يديه) اذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة •

فحقيقة المثل ما جعل العام للتشبيه بحال الأول •

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذى يعمل عليه غيره وقال غيرهما: سميت الحكم القائم صدقها فى العقول أمثالا لانتصاب صورها فى العقول مشتقة من المثول الذى هو الانتصاب •

---

(٤٠) مجمع الأمثال للميدانى جـ ١ ص ٦ ـ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين •

ودوران المادة عند عزلاء يبيء عن التشبيه ولكنه يسمى مثلا قبل أن يتمثل به لمقوله فى الفعل وانتصابه فيه يقاس عليه ويعمل على منواله ويتخذ فى ذلك أصلا ولكن الشيخ عبد القاهر تردد على لسانه كثيرا لفظ المثل مرادا به التشبيه العقلى ومرادا به المشبه به ومرادا به الاستعارة التمثيلية • يقول الامام فى توضيح الاستعارة التمثيلية التى تجرى فى اليد مع غيرها •

وأما اذا أريد باليد القدرة ، فهى اذن أحق الى موضعها الذى بدئت منه وأصب بأصلها لأنك لا تكاد تجدها تراد معها القدرة الا والكلام مثل صريح ومعنى القدرة منتزع من اليد مع غيره أو هناك تلويح بالمثل •

ومن الظاهر فى كون الشبه مأخوذا ما بين اليد وغيرها قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله »(٤٢) المعنى على أنهم أمروا باتباع الأمر • فلما كان المتقدم بين يدى الرجل خارجا عن صفة المتابع له ضرب جملة هذا الكلام مثلا للاتباع فى الأمر ، فصار النهى عن التقدم متعلقا باليد نهيا عن ترك الاتباع ويؤكد على أن هذا التركيب مثل ولا ينظر فيه الى اليد منفردة •• فهذا مما لا يخفى على ذى عقل أنه لا تكون فيه اليد بانفرادها عبارة عن شىء ، كما قد يتوهم أنها عبارة عن النعمة ومتناولة لها كالوضع المستأنف حتى كأن لم تكن قط اسم جارحة •

شبهت الهيئة الكلية المعقولة بالهيئة الكلية المحسوسة ، فنقلت العبارة بما فيها بأن مثل حال المتعجل بالحكم فى شأن من شئون الدين

---

(٤١) أسرار البلاغة ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ تحقيق الشيخ أحمد المراغى ط الاستقامة • أسرار البلاغة ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ تحقيق محمود شاكر •
(٤٢) الآية رقم ١ من سورة الحجرات •

قبل اذن الله بحال من يتقدم بين يدى متبوعه حين المشى بجامع عدم المتابعة فى كل .

وفى قوله عز وجل « لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » المراد بين يدى رسول الله ذكر الله تعظيم له واشعار بأنه من الله بمكان يوجب اجلاله والنهى عن التقدم بين يدى الرسول ﷺ .

ويعقب الامام على قول العباس بن الأحنف وهو من بحر الرمل :

نعمت كالشمس لما طلعت بثت الاشراق فى كل بلد

وذلك أنه قصد ههنا بتعميم الأقطار ، والوصول الى كل مكان الا أن النعمة لما كانت تسر وتؤنس ، أخذ المثل لها من الشمس ، ولو أنه ضرب المثل لوصول النعمة الى أقاصى البلاد وانتشارها فى العباد ، بالليل ووصوله الى كل بلد ، وبلوغه كل أحد ، لكان قد أخطأ خطأ فاحشا .

فقد عبر الشيخ عن المشبه بأنه مثل فى قوله . أخذ المثل لها من الشمس . ومقصده فى العبارة الأخيرة : ولو انه ضرب المثل بالليل . أراد المشبه به .

وحديثه السابق فى أسرار البلاغة يوضح بعضه البعض اذ يقول « اذا كان الشبه بين الطرفين من المحسوسات والغرائز والطباع وما جرى مجراها من الأوصاف المعروفة ، كان حقها أن يقال انها تتضمن التشبيه . ولا يقال ان فيها تمثيلا وضرب مثل ، واذا كان الشبه عقليا جاز اطلاق التمثيل فيها . وأن يقال ضرب الاسم مثلا لكذا كقولنا : « ضرب النور مثلا للقرآن » والحياة مثلا للعلم .

---

(٤٣) أسرار البلاغة ص ٢٩٠ تحقيق المراغى ، ص ٢٥٥ تحقيق محمود شاكر .

ويتحدث كذلك عن التشبيه التمثيلى فيقول : وعلى الجملة فينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى والتشبيه الذى هو الأولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك الا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر ، حتى ان التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقليا محضا ، كانت الحاجة الى الجملة أكثر .

فالمقصود من المثل هنا هو التشبيه التمثيلى ولم يكن الاستعارة التمثيلية .

ويقول مرة ثانية . واعلم أن المثل قد يضرب بجمل لابد فيها من أن يتقدمها مذكوريكون مشبها به..ولا يمكن حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه . ونقل الكلام اليه حتى كأنه صاحب الجملة . الا أنه مشبه بمن صفته وحكمه مضمون تلك الجملة .

والامام عبد القاهر يتساهل فى استعماله المصطلحات العلمية التى حدد هو نفسه مدلولها . ولعل مرجع ذلك جنوحه الى المعنى اللغوى الذى يعدل به كثيرا عن الاصطلاح المحدد ولكن الغالب فى ذكره المثل هو ما ينطبع على الاستعارة التمثيلية أو ما هو يسميه التمثيل على حد الاستعارة . وهكذا كل كلام رأيتهم قد نحوا فيه نحو التمثيل ثم لم يفصحوا بذلك .

---

(٤٤) أسرار البلاغة ص ٢٩٠ ـ تحقيق أحمد المراغى نفسه ص ٢٥٥ تحقيق محمود شاكر .

(٤٥) أسرار البلاغة ص ٢٧٥ ـ تحقيق أحمد المراغى نفسه ص ٢٤٠ تحقيق محمود شاكر .

وخص المجاز المركب باسم المثل والاستعارة التمثيلية لتلك الأجنبية وغرابته بنقل اسم المثل المشعر مصدوقه بالغرابة والاعجاب الى الصفة الرفيعة كما فى قوله تعالى « ولله المثل الأعلى » أى الصفة الرفيعة العجيبة والى القصة العجيبة .

والمجاز المركب يسمى تمثيلا على سبيل الاستعارة ويسمى تمثيلا مطلقا ولا يقال ان تسمية الأولى والثانية تلتبس التمثيل فالأمر هنا على سبيل الاستعارة(٤٦) .

وفى تشبيه التمثيل يكون بالكاف ونحوها . واذا أطلق التمثيل انصرف للاستعارة واذا أريد التشبيه قيل تشبيه التمثيل واذا فشت صارت مثلا ، وأصل لفظ المثل هو المسمى بمورد المثل وما استعمل فيه بعد ذلك هو المسمى بمضربه فلا يلتفت الى مقام الضرب ، وانما المعتبر المورد الوجه وهو التحافظ على كونه استعارة لا التحافظ على كونه غريبا .

والمثل لم يتغير بل يظل باقيا على هيئته فى حالة المورد بحيث انه لم يتغير فى حالة مضربه من هيئته فى حالة المورد . تأنيثا ولا تذكيرا ولا افراد ولا تثنية ولا جمعا فتغيير اللفظ يستلزم رفع كونه لفظ المشبه به ، ورفع لفظ المشبه به يستلزم رفع الاستعارة لأنها أخص منه اذ كل استعارة لفظ المشبه به وليس كل لفظ المشبه به استعارة .

والتركيب فى الاستعارة التمثيلية أوقع وأبلغ من صريحه وأن المزية التى تثبتها والمبالغة(٤٧) التى تدعى لها فى طريق اثباته لها

---

(٤٦) شروح التلخيص جـ ٤ ص ١٤٥ عروس الأفراح ومواهب الفتاح وحاشية الدسوقى والمختصر مطبعة القاهرة .

(٤٧) دلائل الاعجاز للشيخ عبد القاهر ص ٧٢ تحقيق محمود شاكر مكتبة الخانجى .

وتقريره اياها . فأنت اذا قلت : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فأوجبت له الصوره التى يقطع معها بالتحير والتردد كان أبلغ لا محالة من أن تجرى على الظاهر ، فتقول : قد جعلت تتردد فى أمرك . فأنت كمن يقول أخرج ولا أخرج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى .

المجاز المركب ـ الذى علاقته غير المشابهة « المرسل »

وضع الخطيب القزوينى ضابطا للمجاز المركب وهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه معناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة فى التشبيه .

لكن سعد الدين التفتازانى لم يرتض هذا التعريف(٤٨) وقسم المركب من ناحية العلاقة فأخبر بأن ما كانت علاقته المشابهة فهو المسمى المجاز المركب أو الاستعارة التمثيليه .

قال : وها هنا بحث وهو أن المجاز المركب كما يكون استعارة فقد يكون غير استعارة وتحقيق ذلك أن الواضع كما وضع المفردات لمعانيها بحسب الشخصى ، كذلك وضع المركبات لمعانيها التركيبية بحسب النوع مثلا هيئة التركيب فى نحو زيد قائم .. موضوعة للاخبار بالاثبات فاذا استعمل ذلك المركب فى غير ما وضع له فلابد وأن يكون ذلك لعلاقة بين المعنيين فان كانت العلاقة المشابهة فاستعارة والا فغير استعارة .

---

(٤٨) المطول ص ٤٥٠ ط تركيا .. الركب : هم أصحاب الابل فى السفر دون غيرها من الدواب ولا يطلق على ما دون العشرة ، وهو اسم جمع لراكب ، اليمانيين جمع يمان أصله يمنى منسوب الى اليمن ومصعد بكسر العين من أصعد فى الأرض مضى فيها ، والجنيب . المجنوب المستتبع أى الذى استتبعه الغير وجعله تابعا له ، أو الذى تتبعه الرقباء والحماس أو قومه . فلا ينفلت منهم لمرافاة محبه .

وهو كثير فى الكلام كالجمل الخبرية التى لم تستعمل فى الأخبار كقول الشاعر وهو جعفر الحارثى :

هواى مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثمانى بمكة موثق

وهواى بمعنى فهويتى بتاء التأنيث قبل ياء المتكلم ، ويصح أن لا يؤول الهوى بالهوى أن يراد بحل هواى وهو القلب • ومعناه أن القلب سار بسير الحبيبة وجسمى موثق بمكة • أو يراد ان نفس الهوى سار بسير القلب المسافر بسير الحبيبة • فمعناه الحقيقى اثبات الاصعاد مع الركب اليمانين لهواى على قصد الاخبار والاعلام ومعناه المجازى ذلك على قصد اظهار التحسر والتحزن •

قال السعد وحصر المجاز المركب فى الاستعارة وتعريفه بما ذكر عدول عن الصواب •

ومفهوم هذا النص أن المجاز المركب منحصر فى التمثيلية والخبر المراد به الانشاء وعكسه وان كان غيره قد سمى المركب الذى علاقته غير المشابهة مجازا مركبا مرسلا •

وهذا القول الذى قاله سعد الدين لم يسترح اليه البعض وقالوا أن مثل هذا انما هو من خلاف مقتضى الظاهر • وهو قد يكون كناية ، وقد يكون مجازا باعترافه فلم لا يجوز أن يكون ما ذكره من الكناية والقرينة فى الكناية لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقى • ولعل الشاعر قد أرسل هذه النفثة اللاهثة مريدا حقيقة التركيب ، وهو أن هواه أى مهوتيه مع الركب الذى رحل الى اليمن وهو حبيس بمكة ؟

ويكون التعبير قاصدا الى مجرد التنفيث عن حال محب ، قد اشتعلت نار الحب فى قلبه ، ثم انكسر فؤاده بتحتم الفراق ، هذا هو

---

(٤٩) المطول للسعد ص ٢٣٥ ط تركيا •

عين الذوق الأدبى فى فهم التراكيب وما قاله السعد عند استعمال الاستفهام فى غير معانيه من أن تحقيق كيفية التجوز فيها ، وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله • وذلك بصعوبة بيان علاقة المجاز وكيفية المناسبة المجوزة له •

يضيف أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى(٥٠) صعوبة أخرى استنبطها من موقف الشهاب الخفاجى تتمثل فى أن الاستفهام قد يفيد معانى متعددة فى نص واحد ، فاذا أوعينا أن الأداة مجاز فى احدى هذه المعانى فما موقفنا من غيرها ؟

وهل يمكن أن نقول أنها نقلت من معناها الأصلى الى هذه المعانى مجتمعة ؟

والذى نلاحظه أنها تنظر الى أسلوب الاستفهام لكل لا الى الأداة وحدها حتى لا يقال انه يجوز فى الأداة وهو تجوز مفرد لأن هذا التجوز وان كان فى ظاهره فى الأداة فان التجوز فى ارادة الاخبار من الانشاء وهو ما نحن بصدده •

ويجرنا الحديث الى أن نقول ان سعد الدين التفتازانى قد ارتأى رأيا فى جعل الاستعارة التمثيلية قد تكون تبعية • وهذا الرأى مخالف لرأى غيره •

لقد اتكأ فى مذهبه على تحليل الكشاف(٥١) فى قوله تعالى «أولئك

---

(٥٠) البلاغة القرآنية عند الزمخشرى ص ٧٣ – ٨٠ د/ محمد أبوموسى دار الفكر •

(٥١) آراء العصام فى شرحه للسمرقندية مخطوط د/ محمود توفيق ص ١٨٢ •

على هدى من ربهم » حيث قال : ومعنى الاستعلاء فى قوله (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه • وتمسكهم به • شبهت حالهم بحال من اعتلى الشىء وركبه(٥٢) •

يريد بذلك انه استعارة تبعية شبه فيها تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه فى التمكن والاستقرار • فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء وقول الكشاف مثل أى تصوير فان المقصود من الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به أبراز لوجه الشبه بصورة فى المشبه به ثم انه قدم تصوير وجه الشبه أعنى التمكن والاستقرار على تصوير المشبه لأنه المقصود الأصلى بالقياس اليه ••

وعقب السعد شارحا كلام الزمخشرى بقوله يعنى أن هذه استعارة تمثيلية تبعية أما التبعية فلجريانها أولا فى متعلق معنى الحرف وتبعيتها فى الحرف •

وأما التمثيل فلكون كل من طرفى التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور

وذهب السيد الجرجانى الى أن الاستعارة فى الآية تبعية مقيدة بأن شبه التمسك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب • وسرى التشبيه الى معنى الحرف وهو على • وجوز السيد وجها ثالثا وهو أن

---

(٥٢) حاشية الدسوقى جـ ٤ ص ١٤٧ •
الرسالة البيانية على الصبان ص ٤٥٧ ـ عناية القاضى للشهاب جـ ١ ص ٣٤٦ •
الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ١٩ ط الهيئة •
بعض آية من سورة البقرة رقم ٥ •

تكون الآية من قبيل الاستعارة المكنية بأن شبه الهدى بمركوب وحرف الاستعلاء قرينة على ذلك على طريقة السكاكى فى رد التبعية الى المكنية ولم يرتض رأى السعد فى جعلها استعارة تمثيلية تبعية(٥٣) فكونهـا تبعية لجريانها فى متعلق معنى الحرف ، وكونهـا تمثيلية لكون كل من طرفى التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور فورد عليه أن انتزاع كل من طرفيه من عدة أمور يستلزم تركيبه من معان متعددة ، ومن البين أن متعلق كلمة على وهو الاستعلاء معنى مفرد كالضرب فلا يكون مشبها به فى تشبيه تركب طرفاه وان انضـم اليه معنى آخر ، وجعل المجموع مشبها به لم يكن معنى الاستعلاء مشبها به فى هذا التشـبيه • فكيف يُسرى التشبيه والاستعارة الى معنى الحرف • فالاستعارة فى على استعارة تبعية تستلزم كون الاسـتعلاء مشـبها به ، وتركب الطرفين يستلزم بان لا يكون مشبها به فلا يجتمعان •

وقد يجاب عن هذا بأن انتزاع كل من طرفيه(٥٤) من عدة أمور لا يوجب تركبه بل يقتضى تعددا فى مأخذه • وان كان هذا لا يقبل لأنه يرد بأن المشبه مثلا اذا كان منتزعا من أشياء متعددة فلا يخلو من أن ينتزع بتمامه من كل واحد منها هو باطل فانه اذا أخذ كذلك من واحد منها كان أخذه مرة ثانية من آخر لغوا وتحصيلا للحاصل ، أو ينتزع من كل واحد منها بعض منه فيكون ضرورة مركبا ، أو لا يكون لا هـذا ولا ذاك وهو أيضـا باطل اذ لا معنى حينئذ لانتزاعه من تلك الأمور المتعـددة •

---

(٥٣) المطول مع حاشية السيد عليه ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ •

(٥٤) حاشية الدسوقى جـ ٤ ص ١٤٧ ـ عناية القاضى جـ ١ ص ٢٤٦

وبعد هذا النزاع الطويل نقول ان أهل البيان أشد حرصا على اعتبار تشبيه الهيئة بالهيئة أو استعارة الهيئة للهيئة ومتى وجد فى هذا التركيب لا يعدلون عنه الى المفرد يقول الزمخشرى فى صدد فهم الاستعارة التمثيلية .. ولا ترى بابا فى علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب . ولا أنفع منه فى تأويل المشتبهات(٥٥) ! .

ويقول غيره وانني اذ أميل الى رأى من يؤثر التمثيلية عن غيرها لأنها متى أمكنت لا يرتضى من ذاق حلاوة البيان ولو بطرف اللسان أن يعدل عنها الى الاستعاره المتعددة واعتبار التمثيلية فى الآية أرجح لأنها أوضح وأبلغ وأشهر وأقرب بكلام الكشاف ، فكونها أصح لأن تشبيه التمثيل منزع واضح لا كلفة فيه . فيفيد تشبيه مجموع هيئة المتقين فى اتصافهم بالهدى بهيئة المراكب مع مركوبه بخلاف طريقة الاستعارة التبعية فانها لا تفيد الا تشبيه المتلبس بالاستعلاء ثم يستفاد ما عدا ذلك بالتقييد(٥٦) .

وكون التمثيلية أبلغ لأن المقام لما سمح بكلا الاعتبارين باتفاق الفريقين فكان الأولى بالاعتبار ما فيه خصوصيات أقوى وأعز .

وأما كونها أشهر فلأن التمثيلية متفق عليها بخلاف التبعية .

وكونها أقرب لكلام الكشاف فلأن ظاهر قوله : « مثل » أنه اراد التمثيل وهذا ما تركب ولعل الخلاف بين الفريقين فى حرف واحد ، اذ لا خلاف فى أن التمثيل التفصيلى المعروف يستدعى تركب الطرفين حقيقة وأن التمثيل الذى هو محل النزاع ، هل يشترط فيه التركيب

---

(٥٥) الكشاف جـ ٢ ص ٣٠٥ ط الهيئة .

(٥٦) انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر جـ ١ ص ٢٤٤ ط تونس .

بعد الاتفاق على أنه لا يلزم التصريح بأجزائه لفظا ولا تقديرا فذهب السيد الشريف الى أنه يشترط فيه أن تكون أجزاؤه مرادة منوية ، فلا يكون ما اقتصر عليه من الحرف ونحوه مما هو عمدة المعنى المجازى مستعملا فى معنى مجازى بل حقيقة والا كان مجازا مفردا لا تمثيلا ، أو لا يشترط فيه ذلك(٥٧) بل يكفى تركيب المأخذ المنتزع منه ذلك ويكون الحرف المذكور مع ما يدل عليه بالالتزام من طرفى التشبيه وما يتممها متجورا فيه والا لم يصح دخول على الهدى كما مشى عليه سعد الدين • ومن سار فى طريقه والنزاع كاللفظى •

وحينما تتعدد وجهات النظر فى فهم أسرار اعجاز القرآن الكريم وتتزاحم النكات البلاغية فى فهم دلالة تراكيب الكلام فهو لدليل قاطع على أن هذه الأسرار لن تنفد ، لذلك يؤثر باحث متأخر أن يكون التركيب فى الآية من الاستعارة التمثيلية المكنية ؛ حيث شبهت الحالة بالحالة وحذف لفظ المشبه به وهو المركب الدال على المركوب كأن يقال راكبين(٥٨) مطية الهدى وأبقى ما يدل على المشبه وهو أولئك والهدى، ورمز المركب الدال على المشبه به بشىء من لوازمه وهو لفظ على الدال على المركوب عرفا •

وان كان هذا الرأى يوحى بفكرة جديدة وهى الاستعارة التمثيلية المكنية لكن مجال التمثيلية التصريحية هنا أقرب وأوضح فى هذا الأمر ولكن ولكل وجهة هو موليها(٥٩) •

---

(٥٧) عناية القاضى على البيضاوى جـ ١ ص ٢٤٧ •

(٥٨) تفسير التحرير والتنوير جـ ١ ص ٢٤٥ •

أصل هذه الفكرة عند ابن يعقوب المغربى جـ ٤ ص ١٩٢ •

(٥٩) بعض آية من سورة البقرة رقم ١٤٨ •

أقسام الاستعارة التمثيلية

نظر البلاغيون الى هيئة المستعار منه فما وجدت من أمور موجودة فى الخارج سميت الاستعارة التمثيلية تحقيقيه..كما فى قول الله عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »(٦٠) فالزمخشرى جوز أن يكون الترديب استعارة تمثيلية على تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار مجاز فى المفردات • فقد شبه حال المسلم فى ثقته بالله وتطلعه اليه وحده دون سواه وانه آمن فى لوائه بهذا الجانب آمنا كاملا(٦١) بحال المتدلى المستمسك بحبل ونيق بأمن انقطاعه • ثم استعيرت هذه الحالة لحالة المعتصم بالله الآمن فى قربه وقد ضم التركيب أحاسيس • احساس جامع بين الأمن والحذر • أمن ممروج بخوف مفزع ، لأن المتدلى من مكان عال وفى يده حبل متين يمتزج أمنه بخوفه ، وحذره بيقظته • وكذلك المؤمن فى علاقته بربه هو امن حذر وجل ؛ يشعر بقرار ما بعده قرار فى تلك اللحظات التى يستشعر وثاقه صلته بربه ، ثم يفزعه الخوف اذا استشعر فى احدلة وهن هذه الصلة •

والمستعار منه هنا أمر متحقق موجود فى الخارج فالاستعارة تمثيلية تحقيقية وقد مثل لها الشيخ الصبان بقولهم انى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى • وذلك للمتردد فى أمر(٦٢) •

ومن هذا الباب قوله تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها(٦٠) •

---

(٦٠) بعض آية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران الكشاف جـ ٤ ص ١٥٧ ط الهيئة المصرية •

(٦١) انظر التصوير البيانى ص ٣١٨ د/ محمد أبو موسى دار التضامن للطباعة الناشر مكتبة وهبة •

(٦٢) حاشية الانبابى على الصبان ص ٤٧٨ •

النفاذ مثل الشفة .. هو حرف القليب وطرفه .. فقد شبه حالهم في الجاهلية حين كانوا على وشك الهلاك والتفاني بحال قوم بلغ بهم الضنى الى شفا حفير من النار كالأخدود ، فليس بينهم وبين الهلاك السريع التام الا خطوة قصيرة .

واختيار الحالة المشبه بها هنا لان النار أشد المهلكات وأسرعها . ومن المناسب لحس الآية يذكر الامتنان بنعمتين محسوستين هما : نعمة الاخوة بعد العداوة ، ونعمة السلامة بعد الخطر .

الصورة الثانية ما تكون هيئة المستعار منه موجودة في الذهن ، وتسمى الاستعارة استعارة تمثيلية عقلية . كقولك للجاهل صادف صحة البيع . أراك تعلم شرائط البيع الشرعية . استعيرت هذه الهيئة للحالة التي كانت عند الجاهل الذي صادف العلم .

الصورة الثالثة : ما كان المستعار فيه أمورا متخيلة لا تحقق لها في الواقع والخارج وذلك كقوله تعالى : « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان »(٦٣) فالتعبير تمثيل تصوير لحال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة النوء بها وعظم شأنها بحالها المفروضة انها عرضت على السموات فأبت وأشفقت منها مع عظم جرمها وفرط قوتها فالممثل به في الآية من عرض الأمانه على الجماد واشفاقه منها وان كان محالاً في نفسه مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن . والمراد بالتخييل مايقابل التصديق — كما في قولهم الناس للتخييل أطوع منهم للتصديق هو ما يتألف من المقومات المتخيلة ، وقد بينه الزمخشري وأعجب به وحث على معرفته وهذا هو سر اختيارنا لدراسة هذا اللون فقال نبههم على

---

(٦٣) من سورة الأحزاب رقم ٧٢ الكشاف جـ ٢ ص ٢٢٤

عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »(٦٤) ٠

الغرض من هـذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملتـه ومجموعـه تصوير عظمته والتوقف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضـة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز ثم يقول : ولكن الذى يقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظـام التى تحير فيها الافهـام والأذهان ولا تكتنههـا الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العباره فى مثل هذه الطريقة من التخييل ٠٠ ولا ترى بابا فى علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هـذا الباب ولا أنفع رأعون على تعـاطى تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى فى القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فان أكثـره وغلبته تخييلات قـد زلت فيهـا الأقـدام قديمـا(٦٥) ٠

ثم ينعى على من لا يفهم هذا العلم٠٠وما أتى الزالون الا من قلة عنـايتهم بالبحث ٠٠ حتى يعلموا أن فى عداد العلوم الدقيقـة علمـا لو قدروه حق قدره ٠٠ وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد خيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة(٦٦) ٠ والآية استعارة تمثيلية تخييلية شبهت الهيئة المـأخوذة من عظمته تعالى بحيث يستقذر دونها جميع من سواه وشاذ قدرته فى الأمور العظام ايجادا واعداما بهيئة منتزعة من شخص له قبضة فيها الأرض جميعها،

---

(٦٤) الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٣٠٥ الآية من سورة الزمر/٦٧

(٦٥) الرسالة البيانية مع حاشية الانبابى ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ ٠

(٦٦) حاشية الشيخ الخضرى على شرح العلامة المسلول على السمرقندية ص ٨٠ ط الأزهرية ٠

وعين تطوى بها السموات فذكر اللفظ المركب الموضـوع للهيئة الثانية وأريد به الهيئة الأولى .

وظاهر أن المشبه به أمر مفروض متخيل لا تحقق له الا فى التصور والخيال لتوضيح عظمة الملك المتعال .

الاستعارة التمثيلية فى المجازات النبوية

لا شك أن لطرائق الكلام فى التعبير عن المعانى أحوالا وأوضاعا . وأن أحوال التراكيب وأوضاع الكلمات فى بنـاء الكلام تختلف كذلك اختلافا واسعا . وأن وراء هـذه الاختلافات من الغوامض والهواجس ما وراءها . والفصيح البليغ يتجه الى اللغة يتحسس مضمراتها(٦٧) ويتلمس دقائق الأحوال فى الافراد والتراكيب : ليجد من بينها ما وجده فى نفسـه فيجعله عبارة عنها ، والمعـانى والأغراض هنـا تفيض بها الكلمات لأنها متلبسه بها .

أشار الامام عبد القاهر الى فقه الدلالة ، وطريقة التعبير فى هذا الضرب من الكلام(٦٨) فبين أن الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك اذا قصدت أن تخبر عن زيد مثـلا بالخروج على الحقيقـة فقلت خرج زيد .. وضرب آخـر أنت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة . ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل .

فاللفظ لا يستقل وحده فى الدلالة على الضرب الثانى وانما يصير

---

(٦٧) انظر التصـوير البيانى د/ محمد أبو موسى ط دار التضامن العربى ص ٥، ٦ .

(٦٨) دلائل الاعجاز للامام عبد القاهر ص ٢٦٣ تحقيق محمود شاكر ط المدنى الناشر مكتبة الخانجى .

معناه أيضا طريقا الدلالة، وهذا المعنى قد يكون مفردا، وقد يكون مركبا واذا كانت المعانى الأول التى تنشأ عن طريق الألفاظ بالمواضعة ، فان المعانى الثوانى المدلول عليها بالمعانى الأول انما تفهم بطريق الاستنباط والاستدلال والتعقل وقد عبر عنه الامام بالمعنى ومعنى المعنى وقال عن معنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى الى معنى آخر .

ومما لا ريب فيه أن التعبير عن المعانى والمقاصد بالكلمات يختلف كثيرا عن فيض المعانى بالأحداث والصور اذا كان المقام يقتضيها اذ هى أغزر بيانا وأوفى نظما . وليست المزية فى أنفس المعانى التى يقصد المتكلم اليها بخبره ولكنها فى طريق اثباته لها وتقديره اياها فليست المزية فى قولك رأيت أسدا على قولك رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد فى شجاعته وجرأته أنك أفدت بالأول زيادة فى مساواته الأسد بل قد أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة فى اثباتك له هذه المساواة ، وفى تقريرك لها وتأثير الاستعارة لم يكن فى ذات المعنى وحقيقته وانما هو فى ايجابه والحكم به فأنت اذا قلت رأيت أسدا تكون قد تلطفت لما أردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشىء الذى يجب له الثبوت والحصول ، وكالأمر الذى نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك أنه اذا كان أسدا ، فمن الواجب أن تكون له تلك الشجاعة . ومن المستحيل أن يعرى عنها . ومزية الاستعارة أبلغ من اثبات التشبيه الصريح ذلك أنك اذا قلت رأيت رجلا كالأسد كان اثباتك للشىء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون ولم يكن من الوجوب فى شىء .

وحكم الاستعارة التمثيلية فى الاثبات والمبالغة كالاستعارة فى المفرد . فاذا قلت أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فأوجبت له الصورة التى يقطع معها بالتحير والتردد(٧٠) كان أبلغ لا محالة من أن تجرى

---

(٦٩) انظر بتصرف دلائل الاعجاز ص ٧٢ . (٧٠) دلائل الاعجاز ص ٧٣ .

على الظاهر • فنقول قد جعلت تتردد فى أمرك • فأنت كمن يقول أخرج ولا أخرج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى •

والمجاز أحد البلاغة النبوية التى كانت تفيض عن السليقة المحمدية والتى كان ﷺ يعلمنا اياها فى قوله « هلك المتنطعون »(٧١) والتنطع فى الكلام التعمق فيـــه • وقال ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها(٧٢) وقال أمرت أن أتجوز فى القول فان الجواز هو خير :كان كلامه ﷺ الطبـــع الخالص لا يتكلف القول ولا يعمد الى تزيينه بل هو عفو البديهـــة ، ووحى الفطرة ، ولســـان الطبيعـــة •

وكان ﷺ ينفر من بعض الكلمات التى لا توائم الذوق الفطرى فكان يقول لصـــحابته لا تقولوا دع • دع • ولالع لع ، ولكن قولوا : اللهم ارفع وانفع(٧٣) •

وكتاب المجازات النبوية تحليل لأحاديث رسول الله ﷺ التى كان المجاز عمدتها وألائها • فتارة يكون تشبيها وتارة يكـــون مجازا بجميع صنوفه من عقلى ولغوى ، وكناية •••

ولقد تتبعت كتاب المجـــازات للشريف الرضى وتـــدارسته مرات ومرات فرأيت فيه ما يربو على عشرين حديثا ضمن الاستعارة التمثيلية وان لم يكن هذا العنوان له ولكن تحليله ينبىء عن هذا العنوان عنـــد علماء البلاغة ••• « وآثرها عن غيرها لايثار العلماء لها » ، وأفضليتها على غيرها • وآثرت التحليل على حسب الترتيب فى الكتاب •

---

(٧١) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ٥ ص٦١ ط الحلبى

(٧٢) نفسه جـ ٥ ص ٢٨٥ •

(٧٣) المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٤٣ ، الباقرة والبقرة ، واحدة البقر وتخللها الكلأ بلسانها فى شدقيها ، وهو تصوير للمبالغ فى فصاحة الكلام

١ ــ الحديث رقم ١٣٠ من كتاب المجازات : قال من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم(٧٤) .

ويروى ويجير عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم ، يرد مشدهم على مضعفهم ومتسريهم على قاعدهم ، لا يقتل مسلم بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده .

دقائق لغوية :

التكافؤ : التساوى ، أى تتساوى فى القصاص والديات ، والذمة : الأمان(٧٥) ، ومنها سمى المعاهد ذميا ، أى اذا أعطى أدنى رجل منهم أمانا فليس للباقين نقضه يرد عليهم أقصاهم : أى اذا دخل العسكر دار الحرب فوجه الامام سرية فما غنمت جعل لها ما سمى لها ، ورد الباقى على العسكر لأنهم عون للسرايا .

---

(٧٤) الحديث فى سنن أبى داود ج ٢/٥٣٣ . حدثنا أحمد بن حنبل ومسدد قالا حدثنا يحيى بن سعيد أخبرنا سعيد بن أبى عروبه عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والأشتر الى على عليه السلام فقلنا : هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس عامة ؟ قال : لا الا ما فى كتابى هذا . قال فأخرج كتابا ، وقال أحمد كتابا من قراب سيفه ، فاذا فيه « المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم .. » والحديث فى سنن النسائى ج ٨ ص ١٨ كتاب القسامة . باب القودين الأحرار وفى سنن ابن ماجة كتاب الديات ج ٢ ص ٨٩٥ روايات ومنها عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلمون تتكافأ .

(٧٥) الفائق فى غريب الحديث للعلامة الزمخشرى ج ٣ ص ٢٦٥ ط عيسى البابى الحلبى .

المشد : الذى دواب شديدة قوية ، والمضعف بخلافه : والمتسرى: الخارج فى السرية لا يقتل مسلم بكافر ، أى بكافر حربى وقيل بذمى وان قتله عمدا ..

وينظر الشريف الرضى الى قوله عليه السلام : « وهم يد على من سواهم » ويحكم على التعبير بانه استعارة ومجاز ويحلل هذه القاعده فى وجهين الاول ، أن يكون قد شبه الرسول(٧٦) عليه السلام المسلمين فى تضافرهم وتوازرهم ، واجتماعهم وترافدهم باليد الواحدة التى لا يخالف بعضها بعضا فى البسط والقبض ، والرفع ، والخفض ، والابرام ، والنقض .

ويدلل بأن العرب قد تسمي أنصار الرجل وأعوانه يدا على طريق الاتساع لتشبيههم بالبد وهذا تحليل دلى جملى لهذا التركيب وهو عين ما قاله علماء اللغه اذ ينقل صاحب اللسان عن أبى عبيد معنى وهم يد على من سواهم أى هم مجتمعون(٧٧) على أعدائهم وأمرهم واحد ، لايسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا ، وكلمتهم ونصرتهم واحدة على جميع الملل والأديان المحاربة كأنه جعل أيديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا .

وهذا التحليل الذى آثره الامام عبد القاهر حيث لم ينظر الى التشبيه الفردى والانسياق وراء معنى : يد .. حينما قرن الحديث بقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وأن التصوير مأخوذ ما بين اليد وغيرها .

---

(٧٦) المجازات النبوية للشريف الرضى تحقيق د/ طه الزينى ط الفجالة الجديدة الناشر مؤسسة الحلبى ص ١٧ .

(٧٧) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ١٩٥٢ دار المعارف .

حيث قال فى معنى التركيب وهم عون على من سواهم فلا تقول ان اليد بمعنى : العون حقيقة بل المعنى . أن مثلهم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضا وأن تختلف بها الجهة فى التصرف كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين(٧٨) .

فهذا كله مما يعترف لك كل أحد فيه بأن اليد على انفرادها لا تقع على شىء فيتوهم لها نقل من معنى الى معنى على حد وضع الاسم واستئنافه .

وكان الشريف الرضى والامام عبد القاهر آثرا أن يكون التركيب من الاستعارة التمثيليه وليس من قبيل التشبيه البليغ الذى حذف وجهة وأداته اوجود الطرفين لأن التشبيهين نظرا الى أن المشبه صورة المؤمنين فى كثرتهم واتحادهم وان المشبه به هو صورة اليد التى لا يتصور أن يخذل بعضها بعضا وأن تختلف بها الجهة فى التصرف ثم استعيرت الصورة الثانية الصورة الأولى .

وكرر هذا التحليل الخطيب القزوينى حين جعل النص استعارة وشرح الاستعارة فى التركيب وانهيئة بأن المعنى مثلهم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ...

الوجه الثانى : حيث جعل الرضى الاستعارة فى المفرد فى كلمة « يد » قال وهم قوة على من سواهم . والقوة أحد المعانى التى يعبر عنها باسم اليد . وهذا هو المعنى المعبر عنه فى قوله تعالى « اذا

---

(٧٨) من سورة الحجرات رقم ١ .

أسرار البلاغة للامام عبد القاهر ص ٣٥٧ تحقيق الأستاذ محمود شاكر .

أيدك بروح القدس » أى قويت يدك • فالاستعارة هنا تصريحية حيث استعيرت اليد للقوة وان كانت التحليل الأول أولى وأفضل لهذا قدمه الرضى واصطفاه الشيخ عبد القاهر •

٢ — وهو رقم ٨ فى المجازات •• قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام حين أتاه الفضل بن العباس وابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب يسألانه عن أبويهما السقاية فتواكلا الكلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أخرجا ما تصران » •

والحديث فى الطائف . أتاه ﷺ الفضل بن العباس وعبد المطلب ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يسألانه ، عن أبويهما السقاية فتواكلا الكلام فأخذ بآذانهما ، وقال أخرجا ما تصرران ، قال : فكلمناه فسكت — وقال ورأينا زينب تلمع من وراء الحجاب ألا تفعل ، وروى أن لا تفعل •

---

(٧٩) دارت مناقشات بين العلماء فى قضية التشبيه المحذوف الوجه والأداة وكان المشبه به خبرا • هل يعد من قبيل الاستعارة أم يعد من التشبيه البليغ لأن المشبه مذكور ؟ ولعل الأرجح عند المتأخرين انه من قبيل التشبيه البليغ المحذوف الوجه والأداة والرضى من المتقدمين الذين تقنن عندهم القواعد كاملة والامام عبد القاهر نظر الى الحديث فى الصورة والهيئة والاستعارة فى الهيئة وهذا هو ما ارتضاه القزوينى ولكن وجدت مناقشات حول قول القزوينى انه استعارة وكان هذا رأى الامام والشريف الرضى • وان كان الحديث يحتمل على حسب تحليل الامام أن يكون من التشبيه المركب الذى أجزاؤه مركبة • وقد بسطت المسألة فى رسالتنا البهاء السبكى ص ٢٢٣ •

(٨٠) الحديث فى صحيح مسلم كتاب الزكاة • باب ترك استعمال آل النبى صلى الله عليه وسلم على الصدقة •

قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعى ، حدثنا جويرية عن مالك عن الزهرى أن عبد الله بن عبد الله •

التواكل أن يتكل كل واحد أمره الى صاحبه ويتكل عليه فيه ..

مادة الصر تدور حول الجمع والصرة صرة الدراهم وغيرها وصررت الصرة . شددتها وكل شيء جمعته فقد صررته ومنه قيل للأسير مصرور لأن يديه جمعتا الى عنقه وتصرران معناه : تجمعان ما في صدوركما .. وتامع : تشير بيديها ، وفي سكوت النبي ﷺ دليل على أن الصدقة محرمة على بني هاشم عملوا فيها أو لم يعملوا والنظم المحمدي لم يكن على حقيقته ولكنه تصوير وتمثيل للرجلين يكتمان ما في صدورهما ويتلجلجان في الافصاح عنه ، فهاهنا قلبان يجملان في طويتهما وداخلهما معنى من المعاني وهو رغبتهما في السقاية نيابة عن أبويهما .

والصورة الثانية وهي هيئة المشبه به وعاء به شيء موعى مربوط بخيط فالاستعارة التمثيلية مصورة في تشبيه الهيئة المركبة المنتزعة من قلبي الرجلين يحملان ارادة لهما في السقاية بعد أبويهما ، ولا يفصحان عن هذا المراد بهيئة الصرة التي بداخلها شيء قد ربطت عليه . وقد أعرب الرضي عن هذا في قوله .

أراد أظهرا ما تكتمان في قلوبكما وصرحا بما تلجج به ألسنتكما فجعل القلب بمنزلة الوعاء ، والكتمان بمنزلة الوكاء والوكاء هو الرباط الذي يربط به الكيس وغيره ؛ والأمر المكتوم بمنزلة الشيء الموعى ، المرضوع في الوعاء ..

---

(٨١) الفائق جـ ٤ ص ٧٨ .

(٨٢) ابن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال : اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا : والله لو بعثنا هذين الغلامين قالا لي ولافضل =

وهذا هو المناسب للاستعارة التمثيلية المصورة فى الجمل والتراكيب • وان كان الشيخ المحقق يجيز أن تكون الاستعارة فى المفرد وهو الفعل : تصران •• حيث استعير الصر للكتمان حيث شبه الكتمان بصر المتاع والقرينة أنهما تواكلا الكلام •

فالاستعارة تصريحية تبعية وان كان هذا لا يمتنع ولكنه يتنافى مع التذوق الجمالى وتحليل الرضى فى التصوير الكلى المحلق بخياله ••

=

ابن عباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس ، وأصابا مما يصيب الناس ، قال فبينما هما فى ذلك جاء على بن أبى طالب فوقف عليهما فذكرا له ذلك • فقال على بن أبى طالب : لا تفعلا ، فو الله ما هو بفاعل فانتحاه ربيعة ابن الحارث فقال : والله ما تصنع هذه الا نفاسة منك علينا ، فوالله لقد نلت صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما نفسنا عليك ، قال على: أرسلوهما فانطلقا واضطجع على ، فقال فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سبقناه الى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء ، فأخذ بآذاننا ثم قال : أخرجا ما تصرران ، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال : فتواكلنا الكلام ، ثم تكلم أحدنا فقال : يا رسول الله : أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض الصدقات • قال فسكت طويلا ثم قال : ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ط عيسى البابى الحلبى ، والحديث فى سنن أبى داود جـ ٢ ص١٤٦ ـ ١٤٧ ط مصطفى الحلبى •

(٨٣) انظر المجازات النبوية ص ٢٥ ط الحلبى •

٣ ــ الحديث رقم ١٨ :

قال الرضى . ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، ان هذه الأخلاق بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه منها خلقا حسنا فعل(٨٤) .

يقول الشريف وهذا مجاز ثم يأخذ فى تحليل هذا المجاز بأن مذهبه يحول التعبير على الخيال وليس هناك يد على الحقيقة تعصم المتعلق بها ، وترفع المتورط وانما ذلك على التمثيل والتشبيه وهذا هو مذهب الامام حينما نعى على القائلين بتفسير اليد بالقدرة على سبيل التلويح بالمثل دون التصريح .. وهذا منهم تفسير على الجملة وقصد الى نفى الحاجة بسرعة خوفا على العامى من خطرات تقع للجهال وأهل التشبيه(٨٧) جل الله وتعالى عن شبه المخلوقين . ولم يقصدوا الى بيان الطريقة والجهة التى منها يحصل على القدرة والقوة واذا تأملت علمت أنه على طريقة المعتزلة وهذا المنهج هو رأى الزمخشرى فى تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام الرسول عليه السلام حيث قال فان أكثره تخييل قد زلت فيه الأقدام(٨٨) .

---

(٨٤) روى الحديث فى الفائق النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل له عكره ، فلم ينزع له شيئا ، ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال: ان هذه الأخلاق بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه منها خلقا حسنا فعل . والعكرة هى الخمسون من الابل الى المائة كما قال أبو عبيدة وعن الأصمعى : الى السبعين ويقال رجل معكر : له عكرة وهى من الاعتكار وهو الازدحام والكثرة . الفائق جـ ٣ ص ١٨ ــ ١٩ ط عيسى البابى الحلبى

(٨٥) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٣٦ تحقيق د/ طه الزينى

(٨٦) نفسه ص ٢١٦ .

(٨٧) أسرار البلاغة ص ٣٥٩ تحقيق محمود شاكر .

(٨٨) الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٣٠٥ .

ويرتضى هذا الرأى العلوى ويزكيه فى تأويل أهل البيان بأن الحاجة التى تسند الى الخالق عز وجل خيالية غير متحققة فلا جرم كان تأويلا منهم بما على ذلك • وتأويلهم لها أقرب لما كانت دالة على ما وضعت له فى الأصل من غير عدول ولا مخالفة(٨٩) •

ومنهج البيانيين هو منهج الذوق وسحر البيان •

ويشرح الرضى الحديث السابق والمراد أن الاخلاق فى قبضة الله وتحت ملكة الله تعالى ، ثم يعلل ذلك فى قوله فلما كان فى الأكثر ما يقبضه الانسان ويملكه انما يقبضه بيده وينقله الى يده خاطب عليه السلام بلسان العرف المتقرر عند المخاطبين وفى لغة السامعين •

وكأن هذا التصوير جاء فى تشبيه هذه الحالة وهى ملك الله لهذه الأخلاق وكونها تحت أمره فهو الملك القدوس ، ولا شريك له فى ملكه بهيئة قبض الانسان على الشىء بيده يمنعه أو يمنحه للغير •

واسناد اليد لله على هذا المعنى على التخييل وهو من الاستعارة التمثيلية •

٤ — حديث ٢٥ :

قال الرضى من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « قد أناخت بكم الشرف الجون »(٩٠) •

---

(٨٩) الطراز للعلوى جـ ٣ ص ٩ •

(٩٠) روى فى النهاية : تخرج بكم الشرف الجون قيل يا رسول الله وما الشرف الجون ؟ فقال : فتن كقطع الليل المظلم • شبه الفتن فى اتصالها وامتداد أوقاتها بالنوق المسفة السود ويروى هذا الحديث بالقاف وفيه أناخت بكم الشرق الجون • يعنى الفتن التى تجىء من جهة المشرق •• النهاية فى غريب الحديث جـ ٢ ص ٤٦٣ • جـ ٢ ص ٤٦٥ ط دار الفكر انظر الحديث فى المجازات النبوية ص ٤٤ •

وقبل أن نصور هذا الترهيب نقف على معنى الاناخة يقال : أنخت البعير(٩١) فاستناخ وأنـاخ الإبل : أبركها فبركت ، واستناخت : بركت .

والشرف جمع شارف . وهى الناقة المسنة والجون : السود(٩٢)

والاستعارة التمثيلية فى الهيئة المركبة .. (قد أناخت بكم الشرف الجون) .

وقد شبهت هيئة وقوع الفتن وحلولها بأمة محمد عليه السلام فى يوم أو زمن ما بإناخة الابل المسنة السود . والعلاقة أن بروك هذه الابل واستقرارها غير متحركة جامعة بين السواد والضعف نذير شؤم وحرب وفتك وخراب ، وتسبية وأسر .

والمقام يقتضى التصوير التمثيلى حيث لم يقصد الرسل عليه السلام أناخة الشرف السود على الحقيقة بل هو التمثيل والتخييل ثم استعمل النبى ﷺ هيئة المشبه به فى الهيئة المركبة للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية الحقيقية ويكمل الرضى آراء العلماء فى العلاقة القائمة بين المشبه به والمشبه بأن تشبيه الفتن بالنوق المسنة لأنها أكره مناظر ، وأقل منافع ، ويقول وقال بعض العلماء الشرف هاهنا الفتن التى يستشرفها الناس لعظمها « لكنها بصدد مقول الرأى الأول فى أن المشابهة بين التركيبين لجلال الخطب واستفحال الأمر وايثار سوادها لظلام منهجها والتباس مخرجها » .

ثم يروى أن الشرف قد وردت بالثاء وهى أمور عظام تأتى من قبل المشرق ، ولكنه يفضل الأول لأنه أولى بتعبير الرسول وبعض

---

(٩١) لسان العرب جـ ٦ ص ٤٥٧١ مادة نوخ دار المعارف .
(٩٢) لسان العرب مادة شرف ص ٢٢٤٣ .

المحققين نظر الى تخريج الاستعارة المركبة وحللها فى استعارات متعددة فعلى حين أخبر أن اشرف انجون استعارة تصريحية(٩٣) حيث شبه الفتن بالنياق المسنة السوداء فى كراهة منظرها ، وقله نفعها واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه ويقول وفى أناخت استعارتان مكنية ، وتبعية حيث شبه الفتن بالنياق وحذفها ورمز اليها بشىء من لوازمها وهو الاناخة ، واثبات الاناخه الى الفتن تخييل وفى أناخت استعارة تبعيه حيث شبه حلول الفتن بالناس ونصوتها بأرضهم باناخة النياق ، واشتق من الاناخة أناخت .. وهذا التنصيص يذهب بهاء روعة الاستعارة المركبة ويحول وجودها عدما .. وهذا ما لا نقبله .

حديث ٥ ــ وهو فى المجازات رقم ١٦ :

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى يوم حنين لما رأى مجتلد القوم : الآن حمى الوطيس .

والوطيس « حفيره تحتفر فيوقد فيها النار للاستواء وتجمع على وطس والتركيب تمثيل وتصوير ولا وطيس على الحقيقة » وانما المراد حمى الحرب عظم الخطب .

فالنبى ﷺ لما رأى سيوف الأبطال قد اختلطت فى حرب حنين ، والصفوف قد ازدحمت فى زحمة ضنت حر القراع وشدة المصاع ،

---

(٩٣) انظر تعليق د/ طه الزينى ص ٤٥ فى المجازات .

(٩٤) روى هذا الحديث فى صحيح مسلم (هذا حين حمى الوطيس) صحيح مسلم ٢/٩٢ كتاب الجهاد وهو بنصه السابق فى مسند الامام أحمد جـ ١ ص ٢٠٧ .

وفى النهاية لابن الأثير « الان حمى الوطيس » والوطيس التنور قال وهو كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب . ويقال : ان هذه الكلمة أول من قالها النبى صلى الله عليه وسلم جـ ١ ص ٤٤٧ .

والتفاف الابطال ، واختلاط الرجال قائل الحديث • فهذه الصورة المركبة من التحام الصفوف واقتتال السيوف ، وتناثر القتلى شبهه النبى ﷺ بهيئة الوطيس وهى الحفيرة تحفر وتوقد فيها النار فيشرف اللهب منها متعاليا نحو السماء ••

وهذا الحديث من الكلام النبوى الذى جرى على الألسنة مجرى الأمثال الفريدة النادرة التى تستحضرها الأحوال ، وتجليها الألسنة فى مثل مناسبتها الاولى لذلك يقول الرضى هذه اللفظة الأغلب عليها أنها من جملة الافعال من كلامه ﷺ وهى كذلك لأنه لما تذاكر الناس هذا الاسلوب النبوى كلما وقع لهم كرب فى حرب • ونطقوا بهذه المقولة صارت مثلا نبويا سائرا بليغا • وهذا أنسب للمقام وأولى بالبيان من جعل المحقق الى تحليل الحديث الى الاستعارة التصريحية التبعية حيث شبه اشتداد الحرب والصراع بين المتقاتلين بحمى الوطيس واشتداد النار فيها واشتق من الحمى بمعنى الاشتداد حمى بمعنى اشتد على طريق الاستعارة التبعية •

وهذا الكلام غير مرغوب فيه لأنها اشتهرت على الألسنة والأقلام وصارت من أجل الامثال النبوية •

٦ — حديث رقم ٣٠ :

قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفى ما فى انائها » •

---

(٩٥) المجازات النبوية ص ٤٦ ، ٤٧ •

(٩٦) الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب النكاح • قال : حدثنا عبد الله بن موسى عن زكريا هو ابن أبى زائدة عن سعد بن ابراهيم عن =

بإناء : كفأت الإناء اذا كببته واكتفأته اذا شربت ما فيه أجمع أو أكلت ما فيه أجمع وما أروع التصوير التمثيلي في هذا الحديث النبوي لأنه من أشد الكبائر ما تقوم به احدى النساء من الكيد لافساد أسرة ، وتطليق زوجه اتاخذ مكانها •

فقد صورتها الاستعارة التمثيلية بهيئة لا تسر ، انها لامرأة نهمة أقدمت على آنية من طعام لامرأه غيرها ، فأفرغت ما فيها في انائها جشعا وتبجحا والتعبير هنا له أسراره فللطعام لذة وعليه تقوم الحياة ايماء الى أثر التدمير لحياة الأسر ، واستفراغ الصفحة ، والاتيان عليها من حرمان للزوجة(٩٧) من حق الحياة ، مع ما في الاستفراغ من بشاعة وتسفل ، ولما كان للمرأه رجل واحد كان لها عصمة وحياة زوجية كالصفحة يشاركها الزوج فيها وهي خاصة بها •

فاستفراغها بتطليقها تعد على أقدس الحقوق وأخصها ، وتهاون بمشاعر الناس وسعادتهم •

وقد نسجت حالة المرأة التي تعمل على طلاق أختها من زوجها

==

أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فانما لها ما قدر لها • صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٦ ط دار الشعب والحديث في صحيح مسلم • من حديث طويل • قال فيه • ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفيء ما في انائها ، أو ما في صحفتها • صحيح مسلم ٥٩٢/١ ـ المجازات النبوية للشريف ص ٥٤ •

(٩٧) البلاغة النبوية دراسة وتحليل مخطوط ص ٣١٦ د• صباح عبيد دراز •

لتتروج هي به • بحالة الشخص الذى يقلب الاناء فيفرغ ما فيه ثم يأكله كله أو يشربه كله •

واستعيرت هيئة المشبه به لهيئة المشبه • على طريق الاستعارة التمثيلية •

٧ — حديث رقم ٤١ :

قال ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

« اياكم وخضراء الدمن » .

الدمن : جمع دمنة • وهو بعر الماشية وما أختلط به من الطين •

وينظر الرضى الى الحديث الشريف ويقول ان للعلماء رأيين فى فهمه ولكنه لم يوازن بين الرأيين وفاضل بين أحدهما وهذا ما نأخذه عليه ، ونظرته الى معنى التركيب من جهة الهيئة المذكورة فى الحديث فقال فى تحليل الرأى الأول ، شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضرة لجمال ظاهره ، وشبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها •

وكلامه فيه بعثرة وتخريق لصورة متحدة ملتئمة أجزاؤها أيما التئام •

---

(٩٨) الحديث فى الفائق للزمخشرى : اياكم وخضراء الدمن • قيل وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء جـ١ ص٣٧٧

(٩٩) قيل وهو من حديث الوافدى عن يحيى بن سعيد بن دينار عن أبى وجزة يزيد بن عبيد الشاعر ، عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى سعيد الخدرى وعزاه الدارقطنى فى الامداد • والرامهرمزى • والعسكرى فى الأفعال وهى فى الصناعتين وأسرار البلاغة •

فالمرأة الملعون فى نسبها المعوضة فى نفسها ، وهى بين النســـاء جميلة(١٠٠) وللرجال فاتنة ، ينهى النبى ﷺ عن نكاحها ؛ فما أشبهها بالفاتنة فوق الأبعار الجنمعة التى تركها الدانى ، ويعلوها الهابى فاذا أصابها المطر أنبتت نباتا خضرا يروق منظره • ويسوء مخبره••والتركيب على هذا التصوير والاقتصـــار على هـــذا الجـــزء المذكور اســـتعارة تمثيليـــة فائقـــة •

وقد جعل الامام عبد القاهر هذا الشطر من الاستعارة التى يكون الشبه(١٠١) من طرفين حسيين والجامع عقلى ويوضح ذلك مفصلا فى قوله حيث جعل المستعار له المراة الحسناء فى منبت السوء • والمستعار منه النبات الأخضر الوارد فى موضع القاذورات ، والجامع بينهما هو حسن المظهر مع فساد المخبر ••

وعاد الامام مكررا الحديث فى المثل والاستعارة التمثيلية فى قوله ولكى تكون المعانى الحاصـــلة من مجموع الكلام أدلة على الأغـــراض والمقاصد ، ولو كان الذى يكون غرض المتكلم يعلم من اللفظ ، ما كان لقولهم : ضرب كذا مثلا لكذا معنى(١٠٢) فما اللفـــظ يضرب مـــثلا ، ولكن المعنى ، فاذا قلنا فى قـــول النبى ﷺ ايـــاكم وخضراء الدمن ، انه ضرب عليه السلام خضراء الدمن مثـــلا للمرأة الحســـناء فى منبت السوء لم يكن المعنى أنه ﷺ ضرب لفظ (خضراء الدمن) مثلا لها • هذا ما لا يظنه من به بس فضلا عن العاقل •

---

(١٠٠) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٦٩ ط الفجالة تحقيق د/ طه الزينى •

(١٠١) أسرار البلاغة ص ٦٨ ـ ٢٧٤ تحقيق محمود شاكر •

(١٠٢) دلائل الاعجاز ص ٤٤١ تحقيق محمود شاكر •

وكان هذا سر ارتياح الدكتور عز الدين حيث قال الأمر أصلا قائم على (١٣٠) التشبيه ثم ترك الأصل واستعيرت صورة المشبه به استعارة تمثيلية وهذه هي الوجهة التي من أجلها سجل الميداني(١٠٤) هذا الحديث من الأمثال السائرة التي اشتهرت وتستعار لحسن الظاهر مع فساد الباطن ولكن ارضى عندما فسر الحديث كان تفسيره محللا وكأنه نظر الى التشبيه التمثيلي ولم ينظر الى الهيئة المجتمعة وهذا ما أشار اليه أبو هلال العسكري(١٠٥) حيث وضع الحديث ضمن المماثلة وان كانت المماثلة عنده يحتمل أن تكون استعارة تمثيلية أو تشبيها تمثيليا وبين بين الشواهد التي تحتمل أن تكون استعارة تمثيلية وشواهد تكون تشبيها تمثيليا وأخبرنا بالجامع فقط وقال :

أراد المرأة الحسناء فى منبت السوء فأتى بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلا .

واذا كان البعض يبعده عن أن يكون استعارة تمثيليةلأن الحديث بتمامه قد ذكر الطرفان فيه والاستعارة مبنية على تناسى أحد الطرفين وحذفه وادعاء دخوله فى جنس الآخر ..

يقول أن الذى آثر أن تكون الاستعارة فى التركيب نظر الى الشطر الأول ومال الى تشبيه الهيئة التركيبية ظاهرا وباطنا بهيئة النبتة الخضراء فى التربة النديئة .

الرأى الثانى الذى نقله فى تحليل الحديث : وهو نهى عن تعارض

---

(١٠٣) الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ١٧١ د/ عز الدين على السيد .

(١٠٤)مجمع الأمثال للميدانى جـ ١ ص ٣٢ تحقيق محمد محيى الدين ط السنة المحمدية .

(١٠٥) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ط صبيح

النفاق • وتغاير (١٠٦) الأخلاق ، وأن يتلقى الرجل أخاه بالظاهر الجميل ، ويبطوى على الباطن الذميم أو يخدعه بحلاوة اللسان ، ومن خلفها مرارة الجنان • وان كان الجامع لا يتعارض وهو حلاوة الظاهر مع مرارة الباطن •• أو جمال المظهر مع فساد المخبر •

وهذا ما يميل اليه الدكتور محمد أحمد البيومى • لعدم تسبب المرأة فى اختيار منبتها وهذا منه مقبول لو لم ينس الحديث على المقصود من خضراء الدمن والحديث حلله غير واحد فى تشبيه الحسناء (١٠٧) كما ان الكفاء فى الزواج مطلوبة شرعا وقد أمر المسلم بالظفر بذات الدين ، والتخير للنطف ، فان العرق دساس والزواج حياة للسكن النفسى ، والاعانة على طاعة الله •

٨ ــ حديث رقم ٥٠ :

قال الشريف الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :
« انى ممسك بحجزكم هلموا عن النار وتغلبوننى تفاحمون فيها تفاحم الفراش والجنادب وأوشك أن الرسل حجزكم »(١٠٨) •

---

(١٠٦) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٧٠ •

(١٠٧) انظر ــ سيدنا محمد فى ابداعه الأدبى ص ٣٢٢ مخطوط د/ محمود شاكر •

(١٠٨) الحديث فى صحيح مسلم مروى عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • انما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه • صحيح مسلم ٣١٤١٢ كتاب الفضائل باب شفقة الرسول وفى رواية أخرى : مثلى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها •

الحجز ، واحدتها حجرة • وحجزة الازار : حنبنـــه ، وحجـــزة السراويل : موضـــع النتكة •• وقيل حجزة الانســـان معقد السراويل والإزار •

وقال الليث : الحجزة حيث يثنى طرف الإزار فى لـــوت الازار ، وجمعه حجزات • والشاهد الذى معنا فى هذا التركيب الجملى « انى ممسك بحجزكم » ودلالته اللغوية أن النبى ﷺ يشد على مقعد الازار من كل والمقـــام يقتضى غير ذلك فهو يخبر مبالغا فى زجر أمته عن الرمى فى المعاصى ، وارتكاس فى المضـــال والمغاوى بشكائم المنع ، وخزائم الردع •

فشبه ذلك ﷺ بامساك الرجل بحجزة صـــاحبه اذا كاد أن يســـقط فى مهواة ، أو يرتكس فى مغواه ، لينماسك بامساكه ، وينجـــو بعد اشفاقه فلما شبه احدى الحالتين بالأخرى أجرى عليها الاسم على سبيل المجاز •

وبعد الامساك والأخذ على معاقدهم يناديهم نداء الشـــفقة على أمته ويأمرهم بالرجوع الى طاعة الله سبحانه وتعالى التى هى الحصن والأمان وينهاهم عن معاصيه التى هى الطريق الى العذاب ومع هـــذه النصيحة الخالصة والاستماتة بالأخذ على أيديهم من التهلكة تتفلتون وتتنازعون الى المقبحات بدون روية وتمهل كما يتهافت الفراش فى الشهاب والذباب فى الشراب •

=

وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها قال : فذلكم مثلى ومثلكم آنا آخذ بحجزكم عن النار ـ هلم عن النار ، هلم عن النار فتغلبونى تقتحمون فيها صحيح مسلم ٢/٣١٥ ينظر مسند الامام أحمد ١/٣٩٠ انظر المجازات النبوية ص ٨٠ ـ ٨١ •

ثم يعود الرسول ﷺ مكررا النصيحة والاستماتة فى الدعوة وأن هذه الدعوة قد ينفلت أمرها منى بسبب طارق يطرق فترسل حجزكم وتنحرط عقدكم وهذا التصوير فى قوله « وأوشك أن أرسل حجزكم » فيشبه الرسول عليه السلام عدم نهى أمته عن المعاصى ، وعدم أخذه عن طرق الغاوى بمنزلة اطلاق حجزهم والقاء أزمتهم وهذه الاستعارة التمثيلية الثانية فى الحديث .

والتركيب هنا أفضل من النظرة السطحية فى الاستعارة التبعية التى حللها المحقق فى قوله شبه تحذير الرسول عليه السلام لقومه لمنعهم من الضرر بأخذ الرجل بحجزة أخيه ثم اشتق من الأخذ بالحجزة بمعنى التحذير المنع من الضر . آخذ بمعنى محذر على التبعية الاستعارة ليست فى المصدر المجرد ان جزئيات تلك صورة تزهدنا فى اللجوء الى التبعية فالتركيب يتطلب داع ومدعو ودعوة ، وكذلك حاجز ومحجوز وحجز ، فالداعى أو الداعية هو الرسول عليه السلام والمدعون قومه الذين يتلهف على رشادهم وهدايتهم ، نجاة لهم من السعير . فهذه هى دعوته لهم .

وهناك آخذ أو ممسك وممسوك هم القوم ووقوع للمسك أو الأخذ بالحجز فلا يليق بهذا التركيب أن ينصص على التبعيه فتكون الصورة جزئية تنأى عن الاحاطة والشمول ، وتضن بمعطيات الصورة .

٩ ــ حديث رقم ٦٥ :

قال : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « يمين الله ملأى سحاء ، لا يغيضها الليل والنهار .

---

(١٠٩) المجازات النبوية ص ٨٢ ــ ٨٣ تحقيق د/ طه الزينى .

(١١٠) الحديث فى صحيح البخارى برواية حدثنا على بن عبدالله =

قال الرضى اليمين فى قوله يمين الله • نعمة الله • وان كان هـذا التفسير يتناسب من جهة أن النعمة تكون من اليد أو اليمين وهـذا من المجاز المرسل فاليمين هى المعطية للنعمة والنعمة مسببة عن اليمين هذا التحليل يكون أقل رفعة وسموا بذوق التحليل البلاغى(١١١) •

فالتركيب له مفردات ولا نقف عنـد كلمة واحدة ، ولكن مجموع الكلام مثل على التصوير والتخييل(١١٢) •

وما معنى التوقف فى أن اليمين مثل وليست باسم النعمة • وكذلك لا ترى اليمين حيث لا معنى اليد •

اليمين وصاحبها المعطى استعارة تمثيلية فهذه نعم الله التى لا تحصى والتى منها الغنى ووفرة المـال وهو الغنى ونحن الفقراء • « ما عندكم ينفد وما عند الله باق»(١١٣) وفى الصورة المقابلة يمين وذو يمين واعطاء بهذه اليمين ووصف بالمسح والملء • وقد استعملت اليمين ونسبت الى

=

حدثنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن همام حدثنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما فى يمينه وعرشه على المـاء ، وبيده الاخرى الغيض أو القبض يرفع ويخفض • صحيح البخارى جـ٩ ص١٥٢ ط الشعب كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء وفى رواية حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يد الله ملأى لا يغيضها نفحة سيحاء الليل والنهار •• عمدة القارى جـ ٢٥ ص ١٠٥، ١٠٦

(١١١) المجازات النبوية ص٩٨ تحقيق الدكتور طه الزينى •

(١١٢) أسرار البلاغة للامام عبدالقاهر ص٣٦٢ تحقيق محمود شاكر

(١١٣) بعض آية من سورة النحل ٩٦ •

الله بالاضافة وليس له عز وجل يمين على الحقيقة وانما كان ذلك زيادة في التذليل والتوضيح لعنى الله على خلقه • جريا على أساليب العرب وبلاغته عليه السلام مستقى من بلاغتهم •

وان كان ابن الأثير قد نظر الى أن اليمين هنا كناية عن محل عطائه(١١٤) ، ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها الاستقاء ولا ينقصها الامتتاح فهذا لا يمنع التركيب الاستعارى فى الجملة وتصويره أبلغ من النظر الى كل كلمة على حدة والوجه الرجوع الى الغرض • واختصاص اليمين لأنها فى الأكثر مظنة العطاء ومواصلة الأحباء • وهى أشرف اليدين وأقواهما ، والتى لا غناء للأخرى دونها •

١٠ ــ حديث رقم ٨١ :

قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « ان من البيان لسحرا » •

ويقول الرضى : وهذا القول مجاز ويحتمل هذا المعنى فى قوله ان البيان قد يخترع بتزويقه وزخارفه وحسن معارضه ومطالعه ، حتى يستنزل الانسان من حال الغضب • والمخاشنة الى حال الرضا والملاينة فالسحر تمويه وخديعة وتلبيس وتغطية • فقد شبه بعض البيان بالسحر فى استمالة القلوب واختلاب العقول والتأثير فى النفس • تعجبا منه وتزيينا •

---

(١١٤) نقلا عن عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى جـ٢٥ ص ١٠٥ ، ١٠٦ جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى جـ٧ ص٢٥ ط الشعب باب الخطبة خال حدثنا قبصة حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم قال سمعت ابن عمر يقول جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا ...

هذا الحديث من أمثال النبوة الشرود التى حفظت فى القلوب وتتلقى على الألسنة حيثما وقعت لها المناسبه وتجددت الأحوال • يضرب هذا المثل فى استحسان النطق وايراد الحجة البالغة وقد استهل صاحب مجمع الأمثال كتابه بهذا المثل الشارد حيث ذكر روايته وأن النبى عليه السلام قاله حين وفد عليه عمرو بن أهتم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ، فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهتم عن الزبرقان فقال عمرو : مطاع فى أذنيه شديد العارضة • فالغ لما وراء طهره ، فقال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدنى ، فقال عمرو . أما والله انه لزمر المروءة • ضيق العطن ، أحمق الوالد ، لئيم الخال(١١٥) والله يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى • ولكنى رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت • وسخطت فقلت أقبح ما وجدت فقال عليه السلام ان من البيان لسحرا • يعنى أن بعض البيان يعمل عمل السحر ، ومعنى السحر اظهار الباطل فى صورة الحق ، والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن ، وانما شبه بالسحر لحدة عمله فى سمعه وسرعة قبول القلب له • فهنا يشبه مضربه أى ما يتمثل به فيه بموارده أى بمحل وروده فى الأصل ويستعار الدال على الثانى للأول •

١١ ــ حديث رقم ١٠٧ :

قال الرضى ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور وسوء المنظر فى الأهل والمال(١١٦) •

---

(١١٥) مجمع الأمثال للميدانى جـ١ ص٧ تحقيق محمد محيى الدين

(١١٦) الحديث روى هكذا حدثنى زهير بن حرب حدثنا اسماعيل بن علية عن عاصم الأحول عن عبدالله بن مرجسى قال : كان رسول الله صلى =

يقال رمل أوعث ورملة وعثاء • لما يشتد فيه السير للينة ورسوخ الأقدام فيه كآبة المنقلب : أن ينتلب الى وطنه ملاقيا ما يكتئب منه من أمر أصابه فى سفره ، أو فى ما يقدم عليه ، الحور : الرجوع عن الشىء والى الشىء • تقول حار الى الشىء وعنه رجع عنه الشىء والحور : ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها • والكور : الزيادة قال الليث الكور : لوث العمامة يعنى دارتها على الرأس وقد كورتها تكويرا ، وكان العمامة على الرأس يكورها كورا : لاثها عليه وأدارها •

وطبيعه الرضى يمهد لما يقوله من تحليل لغوى لبناء التجوز عليه فبين أن وعثاء وزنها فعلاء مأخوذة من الوعث وهو ضد الطريق السهل الممهد والسير فى الوعث يشق على القدم والمنسم فكأنه يشبه الرسول عليه السلام طول السفر وشقته وتكليفه بمنزلة الوعثاء(١١٧) التى قاطعها تعب ، والسارى فيها نصب • فقد استعار وعورة الطريق وهو الرمل الأوعث المشقة وطول السفر بجامع ما يتحمله المسافر منهما • والاستعارة هنا تصريحية •

الله عليه وسلم ، اذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب • والحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى الأهل والمال صحيح مسلم جـ ١ ص٦٤ كتاب الحج • مسند أحمد جـ٥ ص٨٢ سنن النسائى جـ٨ ، ٢٣٩ ـ ٢٤٠ •• ط مصطفى الحلبى •

روى فى الفائق للزمخشرى •• كان صلى الله عليه وسلم • اذا سافر سفرا قال : اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكون • وسوء المنظر فى الاهل والمال • الفائق جـ٤ ص٧١ والحديث فى موطأ الامام مالك جـ ٢ ص ٢٤٧ ط مصطفى الحلبى •

لسان العرب مادة حور ومادة كور •

(١١٧) الفائق جـ٤ ص٧١ •

المجاز الآخر • فى قوله عليه السلام « والحور بعد الكور » أى انتشار الأمور بعد انغمارها وانفراجها بعد التئامها ويفسر هـذا الربط بأنه مأخوذ من حور العمامة بعد كورها(١١٨) وهو نقضها بعد لفها • ونشرها بعد طيها • أو القلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة والمراد التعوذ من الانتقال عن حال حسنة الى حال سيئة وهذا التحليل هو عين الاستعارة التمثيلية فقد شبه تعوذ الانسـان من حالة العسر بعد اليسر وقلة ما فى يده بعد كثرته ، وانكشاف ستره المعنوى بعد أن كان مستورا • بالحور بعد الكور واستعيرت هذه الهيئـة المجتمعة للهيئـة المجتمعة فى المشبه•ووجه الشبه مركب ولهذا قيل فى المثل حور فى محارة معناه نقصان فى نقصـان • ورجوع فى رجوع يضرب للرجل اذا كان أمره يدبر •

ويروى الرضى الرواية الأخرى التى بالنون بعد الكون أى رجع عما كان عليه منها قال الزمخشرى والكون • الحصول على حـالة جميلة يريد التراجع بعد الاقبال •

والرضى يرجح رواية الكور • لانها أعرف عند أهل اللسان وأشبه بمزاوجة الكلام ولكن الزمخشرى يجعل الحديث بالكون وفى غيره بالراء وهو الكور • والعنيـان متوازنان لكن التبعيـة بالراء أبلغ فى البديع من النـون •

١٢ ــ حديث رقم ١١٦ :

قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « وهل يكب

---

(١١٨) المجازات النبوية ص١٤٣ •

الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم .. وفى رواية أخرى على مناخرهم فى النار .

يقول الرضى وهذه من الاستعارات البديعه والمراد أن أكثر معاثر الاقدام ومصارع الآنام انما تكون بجرائر ألسنتهم عليهم ، وعواقب الأقوال السيئة التى تؤثر عنهم .

ثم يفسر الاستعارة بأنه شبه عليه الصلاة والسلام ما ترمى به ألسنتهم من الأقوال المذمومة التى تسوء عواقبها ، ويعود عليهم وبالها بالزارع الذى يستوبى ، عاقبة زرعه . والفارس الذى يستمد ثمرة غرسه ، وهذا كقول القائل لمن أخذ بجريرة وعوقب على جريمة : احصد ما زرعت ، واستوف أجر ما غرست .

---

(١١٩) مجمع الامثال للميدانى جـ١ ص١٩٥ . روى الحديث فى سنن الترمذى : هكذا حدثنا بن أبى عمر : حدثنا عبدالله بن معاذ الصفانى عن معمر عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار فقال : لقد سألتنى عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ... ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا نبى الله ، فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا فقلت يا نبى الله . وانا لمؤاخذ بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد السنتهم .. » سنن الترمذى ـ الجامع الصحيح جـ٥ ص١١ ، ١٢ كتاب الايمان باب ما جاء فى حرمة الصلاة تحقيق ابراهيم عطية ط مصطفى الحلبى . ينظر مسند احمد ٥/٢٣١ . ابن ماجه /٢/ كتاب الشعب وينظر الفائق فى غريب الحديث جـ١ ص٢٨٧ ط عيسى الحلبى

وعرضه فى هذا الاستعارة التمثيلية من حسن المبتدأ وسوء المنقلب(١٢٠) .

وابن الأثير قد نظر الى هذا الحديث(١٢١) بأن المشبه به غير مذكور ولكن ذكرت صفته فالمنجل لم يذكر هنا وانما ذكرت صفته وهى الحصد وكأن هذه النظرة التى نظر اليها بعض الباحثين من أن التركيب استعارة مكنية حيث شبه اللسان بالمنجل الذى يحصد الزرع ثم حذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الحصائد .

واضافة الحصائد الى الألسنة تخييلية . والحصائد يمكن أن تكون استعارة لآثار اللسان من افك وبهتان وافساد .

وان كان الذوق البلاغى لا يعارض تعدد النكات فى البلاغه النبوية ، لكن التركيب الاستعارى فى الجملة أوقع وأشمل عند البلاغيين وكأن هذا التركيب قد حكاه ابن الأثير فى جعل هذا الحديث من تشبيه المركب بالمركب حيث قال : حصائد(١٢٢) ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الألسنة وما تمضى فيه من الأحاديث التى يؤاخذ بها بالمناجل التى تحصد النبات وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبى ﷺ . ولعله يقصد التشبيه الاستعارى فى التركيب وهو عين ما قاله الشريف الرضى .

والتركيب له أثره البالغ فى المناسبة بالتشبيه بين اللسان والمنجل، وتخييل الحركة من سلاح باتر دائم فى قصف الحصاد ، ولسان لا يكل

---

(١٢٠) المجازات النبوية للشريف الرضى ص١٥٤ .

(١٢١) المثل السائر لابن الأثير جـ١ ص١٩١ تحقيق محمد محيى الدين

(١٢٢) البلاغة النبوية دراسة وتحليل ٢٢٢ مخطوط د/صباح عبيد دراز .

الحديث الأثيم(١٢٣) وقد قدم الجزاء بالكب فى النـــار على الوجوه تحقيقا ثم تشويقا الى ســـببه الذى قصر عليه سبب العذاب ترهيبـــا ووعيـــدا ٠

١٣ ــ حديث رقم ١٢٠ :

قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « الرحم تتكلم بلسان طلق ذلق ٠ تقول هل من وصلنى ٠ وقد روى أيضا بلسان طلق ذلق بالضم فى الحرفين جميعا ٠

التصوير هنا قائم على التخييل والتمثيل لحال الرحم وقد أوجب الخالق عز وجل وصلها ، والعطف عليها ، والقيام بحقوقها الواجبة لها حتى قال « أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ٠٠

فمقـــام الرحم وحالها كأنها تنطق منادية بالحض على صـــلتها ، والدعاء لمن وصلها والمستعار منه هنا هيئة وأمور لا تحقق لها فى الواقع ،

---

(١٢٣) المثل السائر جـ ١ ص ٣ و ٤ تحقيق محمد محيى الدين ط مصطفى الحلبى ٠

(١٢٤) الحديث فى مسند احمد عن أبى تمامة الثقفى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : توضع الرحم يوم القيامة لها حجنة كحجنة المغزل تتكلم بلسان طلق ذلق فتصـــل من وصلها وتقطع من قطعها ٠ مسند احمد ١٨٩/٢ ٠

وفى النهاية لابن الأثير ١٦٥/٢ : جاءت الرحم فتكلمت بلسان دلق طلق ٠٠ أى فصيح بليغ هكذا جاء على فعل يوزن صرد ويقال طليق ٠ ذلق ، وطليق وذليق ويراد بالجميع المضاء والنفاذ ٠ وذلق كل شىء حده المجازات النبوية ص ١٦٠ ٠

بل هي أمور متخيلة وكأنها شبيهة بقوله تعالى: « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها • وحملها الانسان »(١٢٥)

فالخيالات وان كانت بعيدة الا أنها فى نفسها مفروضة ، والمفروضات تتخيل فى الذهن ، وقد وضح الشريف التمثيلية فى الحديث بقوله • والمراد أن الله سبحانه قد أوجب على خلقه صلة الرحم وأمرهم بالعطافة عليها والقيام بحقوقها الواجبة لها فصارت بظاهر هذه الحال كأنها ناطقة بالحض على صلتها والدعاء لمن وصلها •

١٤ ـ حديث رقم ١٢١ :

قال الرضى ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « لا ترجعوا على أعقابكم القهقرى » •

القهقرى • الرجوع الى خلف فاذا قلت رجعت القهقرى فكأنك قلت(١٢٦) رجعت الرجوع الذى يعرف بهذا الاسم • والمعنى اللغوى للحديث • لا تنكصوا على أعقابكم ، ولا تعودوا من حيث أتيتكم راجعين •

لكن المعنى المراد : لا تكفروا بعد ايمانكم ، ولا ترجعوا عن دينكم أو لا تولوا عن الدين راجعين ، وتلتووا عنه منصرفين • فاشتملت الصورة الأولى بهيئتها الحسية الواقعية المشاهدة فى أجزاء الصورة الثانية المعنوية المعقولة فقد شبه الراجع عن دين الاسلام العائد الى

---

(١٢٥) الآية من سورة الأحزاب رقم ٧٢ •

(١٢٦) مسند الامام احمد ٣٩/٣ • ولكنكم أحدثتم بعدى وارتددتم على أعقابكم القهقرى وفى النهاية لابن الاثير ٢٩/٤ • فأقول يا رب أمتى ، فيقال انهم كانوا يمشون بعدك القهقرى • المجازات النبوية للرضى ص١٦١

التفكير بالراجع عن وجهته دائرا على عقبه عائدا الى الخلف • واستعمل اللفظ الدال على المشبه به فى المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية •

١٥ ـ حديث رقم ١٣٦ :

قال ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام(١٢٧)•

« حبك الشيء يعمى ويصم » قال : وهذا مجاز •

وأقول هذا الحديث من جوامع الكلم فهو يعبر عن عواطف الحب أدا قارن بصدق وايجاز وعن آثرها بما هو مفطور فى الغرائز وجبلة الانسان •

فهو يصور تغاضى المحب عن عيوب من يحب أو ما يحب ، وزلات لسانه بالعمى والصمم والجمع بين الحاستين بفقد قوتي الابصار والسمع وفقدهما خير دليل على عدم السمع وعدم البصرفالمحب لا يتأثر دلية بما يراه الناس عيبا فى حبيبه •

واسمح مع الأستاذ المحقق فى تحليله الحديث بالاستعارة التبعية فى يعمى وكذلك فى يصم حيث قال : شبه تغاضى المحب عما فى المحبوب من العيوب والمنكره والمستنكرات بالعمم وبالصمم بجامع عدم التأثر فى كل واشتق من العمى والصمم : يعمى ، ويصم •

ولكنى أقول ان الحديث من أمثال النبى ﷺ وجوامع كلمه أرائعة الجامعة بين فقد الحاستين فى وقت واحد ، وعدم رؤيته وسماعه

---

(١٢٧) المجازات ص١٧٥ تحقيق د / طه الزينى • روى هذا الحديث عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حبك الشيء يعمى ويصم • مسند الامام أحمد ١٩٤/٥ سنن أبى داود المجازات ص ١٧٥ • مجمع الامثال للميدانى جـ١ ص١٩٥ •

أى شيء معيب من المحبوب • فكثيرا ما تلهج به الألسنة كلما تكررت له مناسبة ، فأنت ترى الرجل مبهورا مأخوذا بمن يحب أو ما يحب ، رغم ما تلحظه الأعين الناقدة من عيوب لا تكاد تبين لعين الحبيب المتيم ، والعاشق الولهان • فلا تملك الا أن تقول : حبك الشيء يعمى ويصم ولاجل هذا السر دونه الميدانى فى مجمع الأمثال • وقال : عقب الحديث « أى يخفى عليك مساويه ، ويصمك عن سماع العذل فيه » •

١٦ ــ حديث رقم ١٧٦ :

قال ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى الكلام الذى تكلم به يوم الغدير • وأسألكم : عن ثقلى حين خلفتمونى فيهما فقيل له :

---

(١٢٨) المجازات النبوية ص٢١٦ • الغدير • هو غدير برخم • وخم • واد بين مكة والمدينة عند الجحفة •• الحديث فى مسند الامام أحمد : حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو اسماعيل يعنى اسماعيل بن أبى اسحاق الملائى عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتى أهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض •• مسند الامام احمد بن حنبل ١٤/٣ دار الفكر العربى وفى جـ٤ ص٣٦٧ • قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خطيبا فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة •• انى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا وفى صحيح مسلم روايتان الأولى مثل ما تقدم والثانية ما نصه ألا وانى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هذا جعل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة صحيح مسلم ٦٣/٢ ، وفى سنن الدارمى ما نصه : عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيبه وانى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور جـ٢ ص٤٣٢ دار احياء السنة •

وما الثقلان يا رسول الله ؟ فقال الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم • يقول هذه رواية زيد بن أرقم وفى رواية ابى سعيد الخدرى : « حبل ممدود من السماء الى الأرض والأصغر منهما عترتى أهل بيتى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » •

وفى روايه أخرى « حبلان ممدودان من السماء الى الأرض » •

والكلام يعود على الثقلين • وفى الثقلين استعارة تصريحية لأن الثقل : متاع المسافر الذى يصحبه اذا رحل ، ويسترفق به اذا نزل • فقد شبه القرآن والعتره بالمتاع الذى يتوارث بعد موت صاحبه بجامع الانتفاع به ، وحرص الوارث عليه واستعار لفظ المشبه به للمشبه •

وفى قوله « حبل ممدود من السماء الى الأرض » أو حبلان ممدودان » فيه استعارة تصريحية حيث شبه كتاب الله وعترته بالحبل الممدود • بجامع الحفظ من الضرر فى كل واستعير اسم الحبل للكتاب •

وفى قوله عليه السلام كتاب الله سبب طرف منه بيد الله • وطرف بأيديكم يحوله على الاستعارة التمثيلية أو المجاز المركب • حيث قال شبه كتاب الله بالحبل الممدود بين الله وبين خلقه • يعصم منهم من اعتصم به وينستنقذ من الهاوى ومن من اعتلق بطرفة • ثم يفصح عن التخييل الاستعارى • وليس هناك يد على الحقيقة تعصم المتعلق بها وتستشيل المتورط ، وانما دلك على التمثيل والتشبيه ، لأن المستنقذ من الورطة • والمنهض من السقطة فى الأكثر انما يجتذب بيده ويستنقذ بسببه فاستعيرت هذه الهيئه للهيئة السابقة • بجامع النجاة والأخذ الى الطريق المستقيم وهذا جرى على العرف العربى المعروف والأمر بالطريق المعهود •

وذلك انتهاجا لقول الله سبحانه «واعتصموا بحبل الله جميعا»(١٢٩)

---

(١٢٩) بعض آية من سورة آل عمران رقم ١٠٣ •

حيث جوز الزمخشري ان يكون التركيب استعارة تمثيلية على تشبيه الحاله بالحاله من غير اعتبار مجاز فى المفردات ومثله اعتصمت بحبله(١٣٠) يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته ، بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ويسترسل الشريف الرضى فى ارسال من رووا هذا الحديث وأنهم من مشهورى الصحابة رضوان الله عليهم ويبرز تشيعه للامام على رضى الله عنه وأنه هو الأولى بالولاية • ويضرب كذلك فى ابراز سر التعبير بالثقلين عن طريق آراء العلماء فى ذلك وهذه طريقته فى توسيع الدائرة اللغوية التى تساعده فى اعراب الكلام وافهام معناه •• وهذه محمدة له •

١٧ ــ حديث رقم ١٨٤ :

قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم فان أحدهم ليعثر ، وان يده بيد الله يرفعها »•

يقال عثر يعثر ويعثر عثرا وعثارا وتعثر : كبا • والعثرة : الزلة ويقال(١٣٣) : عثر به فرسه فسقط وتعثر لسانه : تلعثم • وفى الحديث : لا حليم الا ذو عثرة أى لا يحصل له الحلم ويوصف به حتى يركب الأمور ، وتخرق عليه ويعثر فيها • والمراد من ذوى الهيئات فى الحديث ذوو الأديان لا ذوو الملابس الحسان فكأن الهيئة الحسية استعيرت

---

(١٣٠) انظر : الكشاف للزمخشرى جـ١ ص١٥٧ ط الهيئة •

(١٣١) الحديث فى مسند الامام احمد برواية : عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم •• الا الحدود •• جـ ٦ ص ١٨١ • وفى سنن أبى داوود ٢/٤٨٧ كتاب الحدود ••باب فى الحد يشفع فيه •

(١٣٢) المجازات النبوية للشريف الرضى ص٢٢٨ •

(١٣٣) لسان العرب مادة عثر ••

ثم يوضح الاستعارة التمثيلية المتحيلة فى الحديث فقد شبه النبى عليه السلام معونه الله ونصرته للعاثر الذى كبا من أهل الدين وانهاضه له • واقالته من عثرته برفع الانسان أخاه العاثر بيده وأخذه من سقطته •• واسناد اليد لله على مذاهب العرب فى التعبير وجريا على سننهم • لأن العادة جارية أن يكون المنهض للعاثر والمقيم للواقع انما يستنهضه بيده ، ويستعين عليه بجلده • فاستعيرت هذه الهيئة المركبة للهيئة السابقة بجامع المساعدة والانقاذ فى كل •• وهى استعارة تمثيلية •

١٨ — حديث رقم ٢٠٥ قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام(١٣٤) . « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تنفض الى نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » •

يقال أوغل القوم وتوغلوا وتغلغلوا •• اذا أمعنوا فى سيرهم • والمعنى أمعن فيه وأبلغ منه الغاية القصوى والطبقة العليا •• ولا يكن ذلك منك على سبيل الحرق والتهافت والتسرع ، ولكن بالرفق والرسل •• وتألف الناس شيئا فشيئا(١٣٥) ورياضتها فينة بعد فينة للهيئة المعنوية • لأن هيئة الدين وظاهره أحسن الهيئات والمظاهر ، وأفخم المعارض والملابس ••

---

(١٣٤) المجازات النبوية للشريف الرضى ص٢٦٠ •

(١٣٥) الفائق فى غريب الحديث جـ ٤ ص ٧٢ مجمع الأمثال جـ ١ ص٧ • للميدانى فى مسند الامام احمد جـ٣ ص١٩٩ حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق • وفى النهاية لابن الأثير ٢٠٩/٥ ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق • وفى جـ١ ص٩٢ : فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى الحديث بنصه فى الفائق جـ٤ ص٧٢ • قال النبى صلى الله عليه وسلم • ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق •• ولا تبغض •• فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ••

حتى تبلغ المباح الذى تروم • وأنت مستقيم ثابت القدم • ثبت الجنان •• ولا تحتمل على نفسك فيكون مثلك مثل من أغذ السير فبقى منبتا •• والمنبت : المنقطع عن أصحابه فى السفر ، والظهر : الدابة •

ونظرة فى مفردات هذا الحديث فنجد لفظ • متين • وهو وصف للدين على سبيل الاستعارة حيث شبهت شدة أوامر الدين ونواهيه بالمتانة والمتانة فى الانسان لشده لحم منكبيه • وصلابة الظهر • بجامع عدم القدرة على الانتيار فى كل وهذه الاستعارة التصريحية فى المفرد ••

هذا الحديث تاله النبى ﷺ لرجل اجتهد فى العبادة حتى هجمت عيناه ، أى غارتا فلما رآه قال له : ان هذا الدين •• وهذا من يسر الاسلام وشفقه الرسول عليه السلام بأمته ، فكان يدعو الى الاقتصاد فى العبادة اذا أنس المرء من نفسه الملل • وخاف السأم •• ويصور الحديث المسلم الذى أسرف على نفسه • وجعل يتعبد بما يفوق طاقته واحتماله حتى نحل جسمه وغارت عيناه ، ولم يعد يقوى على مواصلة الحياة والعبادة معا ، شبهه الرسول عليه السلام بالأعرابى يجوب القفار منفردا عن الرهط الذين معه • ويجتهد فى السير حتى لتكاد تهلك دابته ويهلك هو معها •• ثم استعمل الصورة التى تدل عليه وحاله وهيئته فى الصورة الأولى فقال : « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى • أمات الدابة • وما قضى المأرب وهو تصوير رائع عجيب عبر الرضى عن معنى التمثيلية فقال شبه النبى عليه السلام العابد الذى يحسر متنه ويستنفد طاقته بالمنبت ، وهو الذى يغذ السير ، ويكد الظهر ، منقطعا من رفقته ومنفردا عن صحابته•فتحسر مطيته ولا يقطع شقته وهذا من أحسن التمثيلات وأوقع التشبيهات •

١٩ ــ حديث رقم ٢٣٩ قال الرضى ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون القضاء والقدر : انكم قد أخذتم فى شعبين بعيدى الغور(١٣٦) .

المعنى اللغوى للحديث : سرتم فى طريقين كل منهما بعيد المنتهى .

والشعب : الطريق بين الجبلين . ومسيل الماء فى بطن الأرض . والغور . قعر كل شىء واسفله . والمراد هنا جعلتم تتكلمون فى موضوعين خطيرين وفكرتين لا يأمن المرء على نفسه الزلل من الاسترسال فيهما ولذا قال عليه السلام اذا ذكر القضاء فأقصروا .. فانه مطية الهلاك . وطريق الردى . والاستعارة فى الصوره المركبة من الرهط من الصحابة وقد جلسوا يتذاكرون القضاء وخطورته لا تصفها عبارة ، وهى هيئة المشبه . شبهت بالصورة المركبة من هيئة رهط يمشون فى شعبين ممتدين حتى لا نهاية لآخرهما ، ولا وصول لمنتهاهما فى مرمى البصر ، أو سعى المتقدمين .. بجامع بعد الغاية والجهد فى الوصول .

٢٠ ــ حديث رقم ٢٦٨ . قال الرضى من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « ما من آدمى الا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله » ..

---

(١٣٦) المجازات النبوية ص٣١٢ . (١٣٧) المجازات النبوية ص٣٤٦ .

الحديث فى صحيح مسلم ٤٥٧/٢ كتاب القدر عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء .. ينظر سند احمد ١٦٨/٣ وفى الأفعال من الكتاب والسنة محمد بن على الحليم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن ، واذا أراد الله أن يهديه بسطه فاستقام .. ص١٣٨ ط نهضة مصر . وفى النهاية لابن الأثير ليس آدمى الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله يقلبه كيف يشاء ٩/٣ .

يقول الرضى • عن الحديث : وهذا من جملة الأخبار التي توهم التجسيم وتقتضى التشبيه •• واه وجه فى كلام العرب يسوغ حمله عليه ورده اليه مما يوافق صفات الله تعالى الذى لا يشبه الخلق التى خلقها • والبرايا التي براها وصورها وهو : أن الاصبع فى كلام العرب اسم للأثر الحسن التى تظهر سمته ، وتشتهر علامته يقال لفلان فى ماله اصبع حسنة أى قيام محمود وأثر جميل •

والمعنى على ذلك ما من آدمى الا وقلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين : احداهما ما من به عليه من معرفة خالقه ورازقه ، والأخرى الغبطه بما أنعم به عليه من تحسين خلقه وتوسيع رزقه ، وذلك يوجب عليه الخروج اليه تعالى من حق الشكر على مننه واحسان الجوار لنعمه ••

وعلى هذا التأويل يكون لفظ اصبع من المجاز المرسل الذى علاقته المسببيه من تسمية الشيء باسمه فأخبروا عن الأثر الحسن والنعمة • بالاصبع لأن الأعمال الدقيقه بها اختصاص بالأصابع وما من حذق فى عمل بيد الا وهو مستفاد من جنس تصريف الأصابع واللطف فى رفعها ووضعها • هذا التحليل الذى حكاه الرضى عن استعمالات بعض أهل العلم كرره المرضى فى أماليه حيث أخبر فى تأويل هذه الأخبار هو أن المراد من الاصبع فى كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهى أيضا الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنه أى قيام وأثر حسن(١٣٩) •• ثم يتمم حديثه بأنه كناية عن تيسير تصريف القلوب وتقليبها لكن ابن قتيبة نهج منهج التخييل ورفض هذا التأويل وقال

---

(١٣٨) أسرار البلاغة ص٣٥٤ تحقيق محمود شاكر •

(١٣٩) أمالى السيد المرتضى ط السعادة جـ٢ ص٢-٦ •

ان الذى ذهب الى تأويل الاصبع بالنعم هذا لا يشبه الحديث لأنه عليه السلام قال فى دعائه(١٤٠) « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقالت له احدى أزواجه أو تخاف يا رسول الله على نفسك ؟ فقال : « ان قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عز وجل .. » فان كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو محفوظ بهاتين النعمتين فلأى شىء دعا بالتثبت ،

ولم احتج على المرأة التى قالت له « أتخاف على نفسك » بما يؤكد قولها . وكان ينبغى أن لا يخاف اذا كان القلب محروسا بين نعمتين ، فان قال لنا : ما الأصبع عندك ههنا ؟ قلنا هو مثل قوله فى الحديث الآخر يحمل الأرض على اصبع ، وكذا على أصبعين . وكقوله تعالى : «وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »(١٤١) .. ولم يجز ذلك .

ولا نقول أصبع كأصابعنا ، ولا يد كأيدينا ، ولا قبضة كقبضاتنا لأن كل شىء منه عز وجل لا يشبه شيئا منا ..

هذا كله مبنى على التمثيل والتشبيه كما قال الزمخشرى هذا تمثيل لسرعة تقلب القلوب وان ذلك أمر معقود بمشيئته . والاصبع كاليدين واليمين(١٤٢) .

ويؤكد هذا المعنى فى حديث آخر .. وهذا الأمر من غير تصور امساك ولا أصبع ولا هز ولا شىء من ذلك ولكن فهمه يقع على الزبدة

---

(١٤٠) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ دار الجيل ـ بيروت .

(١٤١) الآية من سورة الزمر رقم ٦٧ .

(١٤٢) الفائق فى غريب الحديث جـ٢ ص٢٨٢ ط عيسى الحلبى .

والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة . وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها عيه عليه هوانه لا ينبغي الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة فى مثل هذه الطريقة من التخييل(١٤٣) .

ولعل هذه الوجهة التي أدارها العز بن عبد السلام فى تأويل الأصبع حيث قال تجوز(١٤٤) بذلك عن استيلائه واقتداره على تقليب القلوب من حال الى حال تشبيها بالكون بين أصبعين فالتجوز هنا الاستعارة التمثيلية لأن أصلها التشبيه فى الهيئات .. والتصوير والتمثيل فى هذا الحديث أشد روعة واعجابا بقدرة الخالق سبحانه .

٢١ ــ الحديث رقم ٢٨٤ قال الرضى ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى كلمات قالهن لعبد الله بن عباس : « احفظ الله يحفظك . احفظه تجده تجاهك » وفى رواية أخرى تجده أمامك .. (١٤٥)

لا يصح أن نفهم أن الخالق عز وجل قد تجسد فى جهة دون جهة أو نجسد فى جميع الجهات (وهو معكم أينما كنتم) ولكن المراد من وجوده عز وجل أمامنا وخلفنا من طريق الحفظ والرعاية لنا .. وكذلك الأمر المراد من تجاهك وأمامك تجد حفظه ومعونته حيث توجهت ، وأى طريق سلكت وهذا التعبير جار على نسق متبع فى التعبير يهدف الى توضيح المعانى المجردة وتثبيتها . يمضى على سنن مطرد لا تخلف فيه طريق التجسيم والتمثيل . قال وهذا مجاز فقد شبه حفظه ومعونته واحاطته بجميع الخلائق بالأمر المحسوس المشاهد أمامك

---

(١٤٣) الكشاف للزمخشرى جـ٢ ص٣٠٥ ط الهيئة .

(١٤٤) الاشارة الى الايجاز ص٨٠ .

(١٤٥) المجازات النبوية ص٣٦٧ .

وخلقك .. واستعيرت هذه الهيئة للهيئة السابقة على سبيل الاستعارة التمثيليـــة .

٢٢ ــ حديث رقم ٢٨٧ قال الرضي : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « من تقرب الي الله شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن تقرب الى الله ذراعا(١٤٧) تقربت اليه باعا . ومن أقبل الى الله ما شيا أقبل الله اليه مهرولا وقال وهذا القول مجاز . ويحلل معنى المجاز فيه بأن التقرب من العرب هنا فعل الشيء القليل من البر ويكون التقرب من الله مضاعفة الأجر والثواب من الخالق فجعل ﷺ التقرب من استحقاق الثـــواب كأنه تقرب من فاعل الثواب ، مجازا واتساعا ، ثم يضع قاعدة معجمية لتحليل معنى التقرب الى الله عز وجل فى كل ما ورد من القرآن والسنة لأن الله عز وجل وصفه لا يوصف بالقرب من طريق الدنو بالمسافة ولكن قربه من حيث الثواب لمستحقيه ، ودانى الاحسان من راجيه ومؤمله ،

---

(١٤٦) بعض آية من سورة الحديد رقم ٤ .

(١٤٧) الحديث فى مسند الامام احمد جـ١ ص٢٩٣ عن عبدالله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام .. انى معلمك كلمات :احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجـاهك ، واذا سألت فلتسـأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك .. وفى سنن الترمذى جـ ٤ و ٧ .

(١٤٧) الباع : قدر مد اليدين : ــ قـدر المسافـة التى بين اليدين مفتوحتين كل منهما فى جهتها .. ــ الهرولة بين الجرى والمشى الذراع : ما بين طرفى المرفق الى طرف الاصبع الوسطى ..

(١٤٨) الحديث مروى عن أبى ذر وأبى هريرة عن النبى صـلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله عز وجل من تقرب الى شبرا ، تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا ، تأويل مختلف الحديث ص٢٢٤ .

فصفة القرب من العبد فعل الطاعات • وصفة القرب من الله سبحانه متعلقة بالاحسان والثواب ويوضح الزروق هنا بان المراد من تقرب اليه سبحانه بطاعته وان عملها بطيئا متضرعا • فانه تعالى يجعل جزاءه عليها معدا مسرعا ، فالمشى هنا كناية عن الطاعة المبطئة • والهرولة كناية عن المثوبة المسرعة ، فذكره عليه السلام على طريق ضرب المثل لفضل ما يفعله الرب تعالى على ما يفعله العبد ومصدر هذا التحليل والتوضيح نجده عند ابن قتيبة حيث قال عقب الحديث السابق • ونحن نقول ان هذا تمثيل وتشبيه (١٤٩) وانما أراد من أتانى مسرعا بالطاعة • اتيته بالثواب أسرع من اتيانه ، فكنى عن ذلك بالمشى والهرولة • كما يقال فلان موضع فى الضلال •• والايضاع : سير سريع لا يراد به أنه يسير ذلك السير • ولكن المراد الاسراع الى الضلال فكنى بالوضع عن الاسراع ويؤكد هذا المعنى من تعبير القرآن فى هذا المعنى حيث قال . « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين » (١٥٠) والسعى : الاسراع فى المشى • وليس المراد المشى دائما • ولكن المراد الاسراع بنياتهم وأعمالهم •

والموازن بين التحليلين يجد المصدر الأول عند ابن قتيبة نقول ابن قتيبة وهذا تمثيل وتشبيه هو عين ما قاله الرضى • فذكره عليه السلام على طريق ضرب المثل • وكذلك التعبير الذى تنقصه الدقة : فى قوله المشى كناية عن الطاعة والهرولة كناية عن المثوبة •• فالكناية اللغوية لا تصح فى جانب الله عزوجل وهى عند جمهور البلاغيين لن تكون مجازا •• هذا تجاوز فى التعبير وان كنا نقبل منهما أنهما فى العصور التى لم تكمل تقنين المصطلحات كاملة •

---

(١٤٩) المرجع نفسه ص٢٢٤ ط دار الجيل •

(٥٠) بعض آية من سورة رقم ٥٧ الحج •

ولعل التخييل الاقرب الى الذوق والتخييل هو حمل الحديث على الاستعارة التمثيلية(١٥١) وذلك بتصوير الهيئات والصور المعنوية بالهيئات والصور الحسية ابرازا للمعنى المعنوى فى صوره الحسى اعتناء به وترغيبا فيه • فالحديث يحمل ثلاث استعارات تمثيلية • وهذا التمثيل والتخييل فى الاثبات والمنبت والتركيب الكلى لا يمنع أن يكون الاسناد مجازا عقليا كما قال المحقق فى الحديث ثلاثة مجازات عقلية : اسناد تقرب الأولى الى الله تعالى • والمراد ثوابه • اسناد تقرب الثانية الى الله والمراد ثوابه اسناد أقبل الى الله والمراد ثوابه والعلاقة المصدرية فالله عز وجل مصدر الثواب • أو العلاقة السببية لأن الله تعالى سبب الثواب •• وهذا التذوق لا يتعارض مع التذوق الكلى للتركيب الجملى فى الاستعارة التمثيلية •

٢٣ ــ حديث رقم ٣٠٩ « قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : يد الله مع القاضى حين يقضى ، ويد الله مع القاسم حين يقسم » •

---

(١٥١) انظر المجاز فى اللغة والقرآن بين الاجادة والمنع جـ١ ص٢٤٠ د/ عبد العظيم المطعنى •• ط وهبه •

(١٥٢) المجازات النبوية ص٣٧٢ ط الحلبى تحقيق د / طه الزينى •

الحديث فى مسند احمد الله مع القاضى ما لم يجن عمدا • جـ٥ ص٢٦ وفى سنن الترمذى ٣/٦٠٩ كتاب الأحكام • باب ما جاء فى الامام العادل •• ان الله مع القاضى ما لم يجر ••• وروى مسند الامام احمد يد الله مع القاضى حين يقضى ، ويد الله مع القاسم حين يقسم جـ٥ ص٤٦٤ •

روى هذا الحديث فى سنن الترمذى ١/٢٧٦ أبواب الطهارة باب ما جاء فى البول يصيب الأرض حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : دخل اعرابى المسجد • والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فصلى فلما فرغ قال : اللهم ارحمنى ومحمدا •

قال وهذا القول مجاز • ويفسر اليد هنا بمعرفة الله وعلمه بالقاضي والقاسم فى عملهما • وهذا لا يكفي وذلك لأن الفصل فى القضايا والقسمة فيما يحتاج القسمة أكثر ما تكون اليد فيه أساسا وعمدة • والايدى ها هنا مثلا يد الخالق • ويد القاضى ، ويد القاسم •• يد خيالية ويدان على الحقيقة فكأنما شبه علم الله تعالى ومعرفته بما قضى القاضى، وماقسم القاسم بوجوده تخييلا • مهما يشاركهما القضاء والقسمة يده الى يديهما جنبا الى جنب يقول الرضى : وذلك كما يقول القائل : يد فلان مع فلان اذا كان مشاركا له فى ولاية يليها أو مشاركا له فى أمور يمضيها •

١٤ — حديث رقم ٣١٦ • قال الرضى ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام • وقد سمع أعرابيا يقول فى مسجده ﷺ بعقب صلاة صلاها : اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا • فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد تحجرت واسعا » ويوضح معنى التحجر بأن أصله أن يخطط الانسان خطة ، ويضرب عليها سياجا ليحوزها به ، ويعلم أنها فى قبضته ، ومنه الحجرة ، وهو البيت المضروب ، هذا الأعرابى الذى يدعو أن يرحمه الرب تعالى ومحمدا دون سواهما من العالمين(١٥٣) يشبه بمن خط فى مكان واسع خطا وجاء الى منتدى فسيح يرتاده الناس جميعا فحظر عليه حظارا ، ثم ضرب على هذا الخط سياجا وبنى سورا يعلم أن الحجرة التى كانت ناديا له ولغيره قد أصبحت له دون غيره وهذه الصورة الحسية استعيرت للهيئة الأولى • فهى معجبة ومعبرة فى

ولا ترحم معنا أحدا • فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لقد تحجرت واسعا • فلم يلبث أن بال فى المسجد فأسرع اليه الناس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أهريقوا عليه سجلا من ماء أو ذلوا من ماء ، ثم قال : انما بعثتم مبشرين ميسرين ولم تبعثوا معسرين •

(١٥٣) انظر المجازات النبوية ص ٤٠٠ د/ طه الزينى •

دقة وشمول من الصورتين وهي أوسع مجالا من اجرائها فى الاستعارة التبعية فى « تحجرت » لعدم وفائها بجملة التركيب(١٥٤) .

٢٥ ــ حديث رقم ٣٦١ . قال الرضى : ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام(١٥٥) : الحجر يمين الله . فمن شاء صافحه بها ..

ووضح الرضى أن الحجر جهة من جهات القرب الى الله ، ثم قال موضع اليمين مقام الطاعة التى يتقرب بها الى الله .

وما فى الحديث من ذكر اليمين ونسبتها لله تمثيل وتخييل محض جريا على طريقة العرب لأن من عادتهم اذا أراد أحدهم التقرب من صاحبه وفضل الأنس بمداناته . أن يصافحه بيده ..

هذا النبع ناخذه من العين الثرة عند ابن قتيبة حيث قال فى شرح هذا الحديث ان هذا تمثيل وتشبيه دلك أن الملك كان اذا صافح رجلا قبل الرجل يده . فكأن الحجر لله تعالى بمنزلة اليمين للملك تستلم وتلثم .

فالتخيل فى الحديث ظهر وهو أن حالة الحجر الأسود يلثمه الحجاج فى حجهم وزيارتهم شبهة بحالة الأعرابى يقدم على الملك فيتطامن أمامه ويصافحه بيده ثم يلثمها ، فأسند النبى عليه السلام اليمين لله اسناد اضافة تخييلا لا حقيقة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين ،

---

(١٥٤) المجازات النبوية ص ٤٤٤ .

(١٥٥) الحديث مروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال الرسول عليه السلام « الحجر الأسود يمين الله تعالى فى الأرض يصافح بها من شاء من خلقه ... تأويل مختلف الحديث ص ٢١٥ .